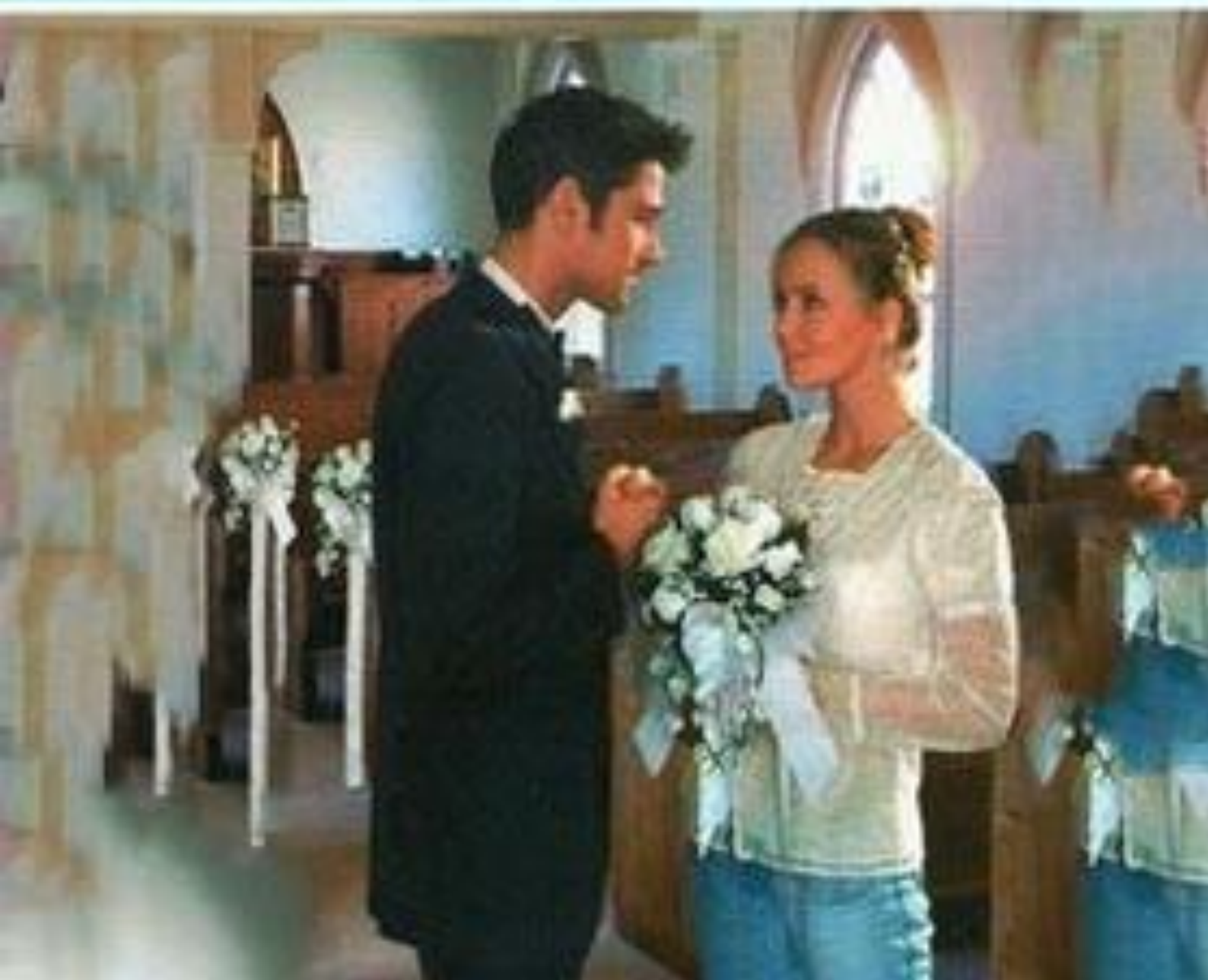


روايات احلام



حبیبتي كاذبة

لین غراهام



{ حبيتي كاذبة }

لتحميل مزيد من الروايات

الخاصة و المميزة

زوروا موقع مكتبة رواية

www.rivaya.ga

هذه الرواية هي إهداء خاص و حصري إلى
مشاركي قناة روايات عبير على تيليجرام
رابط قناة روايات عبير

<https://t.me/aabiirr>

تتم قناة روايات عبير بمشاركة روابط روايات
عبير و أحلام و مختلف الروايات الرومانسية
الحصريّة و المميّزة

حبيبي كاذبة

العدد 413

للكاتبة : لين غراهام

روايات احلام

الملخص

إنه لا يستطيع أن يتذكر لماذا تزوج هيلاري .

كان رجل الأعمال راوول ساباتينو يشعر

بالضياع فقد كان

يعاني من فقدان الذاكرة بعد حادث اصطدام

. ثم اكتشف أن

لديه زوجة لا يستطيع أن يتذكر عنها شيئاً .

هيلاري فتاة لطيفة , جميلة . . . ولكنها

عادية جداً , فلماذا

تزوجها , والأهم لماذا ما زالت عذراء .

وكأن كل هذا لا يكفي . حتى تفاجئه هيلاري

بالرحيل .

بالضبط عندما بدأ يتذكر . . .

عدد الفصول :

10

عناوين الفصول :

1 .

رجل جعلها تبكي

2 .

علاقة سرية

.3

أتذكر أسمى ؟

.4

تلك المرأة !

.5

عروس زائفة

.6

لن أسامحك أبداً !

.7

في أحلامك !

.8

ممثلة بارعة

.9

أكرهك

.10

أحبك

نبذة عن الكتابة :

ولدت في شمال إيرلندا , خلال سنوات

المراهقة كانت من القراء

المتحمسين لـ ((ميلز أندبون)) . تعيش لين

زواجاً سعيّاً مع زوجها

المتفهم , الذي تعلم الطهو ما أن بدأت هي

بالكتابة !

حياتها مليئة بالحياة و النشاط بسبب أطفالها

الخمس وكلبها

الكبير الذي يثير الفوضى في كل مكان ,

كما أنها تملك كلب صيد

صغير من نوع ((الغرير)) وعندما تسنح لها

الفرصة تعمل في حديقة

منزها بنشاط .

.....

.....

.....

.....

.1

رجل جعلها تبكي

قال راوول سابانيتو , الأسمر الوسيم الرزين ,

عابساً : ((من

الطبيعي ألا تجدد عقده . لا مكان في "

مصرف ساباتينو " لمدراء

فاشلين ((.

كان صاحب مصرف عالمي ورجلاً مشغولاً ,

ما جعله يعتبر هذه

المحادثة مضيعة لوقته الثمين . وتنحى مدير

أعماله ستيفن :

((أظن . . . لعل حديثاً قصيراً يعيد

راولنسن إلى الطريق

المستقيم . . .)) .

فقاطعه راوول بنبرة باردة كالثلج : ((أنا لا

أؤمن بالأحاديث

القصيرة ولا أمنح فرصاً ثانية . إن سمعة

مصرفنا تقوم على كفاءتنا .

أخذ ستيفن يفكر في راوول الذي يعرفه خبيراً

ذائع الصيت في

عالم الاقتصاد . كان ثرياً سويسرياً من سلالة

أصحاب المصارف

الخاصة الذين شهد لهم الجميع بالذكاء

الكفاءة . لكن رغم ذكائه

البالغ ونجاحه الهائل , لك يكن يظهر أي

عطف على مستخدميه . في

الواقع , كان موهوب الجانب قدر ما هو

محط إعجاب .

ومع ذلك , قام ستيفن بآخر جهد للتوسط

لذلك الموظف السيء

الحظ , فقال : ((زوجة راولنسن هجرته

الشهر الماضي . .)) .

وجاء رد راولول الفظ : ((أنا رب علمه

ولست طبيبه النفسي .

وحياته الخاصة لا تهمني)) .

وغادر مكتبه البالغ الفخامة ليهبط بمصعده

الخاص إلى موقف

السيارات تحت الأرض حيث استقل سيارته
فيما فمه القوي لا يزال
ملتويًا بازدياء عابس . ما نوع هذا الرجل
الذي يدع فقدانه امرأة يهدم
حياته المهنية الواعدة ؟ يا لها من شخصية
ضعيفة عديمة القدرة عى
التحكم في الذات! .
وهز راوول رأسه المتكبر باشمئزاز بالغ .
الرجل الذي يشكو

مشاركه الشخصية , متوقعاً لذلك معاملة

خاصة , شخص بغيض

بالنسبة إليه . عاش راوول حياة صارمة خالية

من الفرح و الاستمتاع ,

فقد هجرته أمه قبل أن يتقن المشي .

وتبددت أي لحظة من العناية

والمحب من حياته بين ليلة وضحاها , ثم

أرسل إلى مدرسة داخلية

وهو الخامسة من عمره . وكان لا يُسمح له

بزيارة منزلة إلا إذا

جاءت نتائج امتحاناته مرضية لأبيه , أريد له
أن ينشأ خشناً قاسياً ,
ويتعلم منذ طفولته ألا يطلب أو يرجو أي
عون أو محبة من أحد .
رن هاتف سيارته وهو عالق في زحمة السير .
وندم لأنه لم
يستدع سيارته الليموزين مع سائقها الخاص .
كانت المكالمة من
محاميه , بول كوريرو , وبما أن الحديث تناول
أموراً سرية , فضل أن

يعتمد تعابير بول المتحفظة .

. بصفتي محاميك , أظن أن من واجبي أن

أشير إلى أن الوقت

حان لتضع حداً لعلاقة معينة .

كان رتوول زميلاً لبول في الجامعة , وهما

صديقان جيدان , قلا

أحد غيره يجرؤ على التحدث معه بمثل هذه

الألفة . لكن مزاجه لم

يحتمل المماثلة , , فقال يستعجله :))

أدخل في صلب الموضوع ((.

فتردد بول بشكل غير عادي : ((منذ مدة و

أنا أفكر في هذا الأمر .

لكنني انتظرت حتى تثير أنت الموضوع , وقد

مضى الآن أربع

سنوات تقريباً . ألم يحن الوقت لفسخ زواج

المصلحة ذاك الذي

عقدته ؟ ((.

بدا صوت بول رخيماً وهو يتابع , من دون

أن يدرك التأثير الذي

أحدثه : ((هلا اتفقنا على موعد ما هذا

الأسبوع لأنني سأكون في

إجازة ابتداءً من يوم الإثنين القادم)) .

رد راوول على الفور : ((هذا الأسبوع

مستحيل)) .

فقال بول بشيء من الارتباك : ((أرجو ألا

أكون قد تجاوزت

حدودي بإثارة هذا الموضوع)) .

فقال راوول ضاحكاً : ((يا إلهي , كنت قد

نسيت هذا الموضوع ,

وأنت أخذتني على حين غرة !)) .

فقال بول : ((لم أكن أظن هذا ممكناً)) .

. سأعاود الاتصال بك . . زحمة السير خائفة

.

بدا فمه الجميل متوتراً . إن بول محق بالنسبة

إلى موضوع ذاك

الزواج . وعاد راوول بالذاكرة أربع سنوات

إلى الوراء .

كيف سها عن قطع تلك الصلة الهشة ؟

وذكر نفسه بأنه كان

مشغولاً إلى حد لا يصدق .

كان جده كليمنت رجلاً صارماً مدمناً على

العمل حتى بلغ

الستينات . كان من كافة النواحي , أشبه

بقطعة من الصخر . لكن ,

بعد أن تقاعد , وقع في غرام امرأة أصغر منه

سناً , فتغير بشكل كامل

واعتنق فلسفات الجيل الجديد حتى أنه تزوج
تلك الشابة الباحثة عن
الثروة . هذا السلوك أحدث جفاءً استمر
لسنوات بين كليمنت وابنه
المتحفظ والد راوول . لكن راوول بقي على
اتصال بجده .
وعندما توفي الجد منذ أربع سنوات , لم
يصدق راوول شروط
وصيته الغريبة للغاية . أوصى الجد كليمنت
بأن في حال لم يتزوج

هذا الأخير , في وقت معين . يتحول قصر
((كاستيلو ساباتينو)) , منزل
الأسرة , إلى الدولة بدلاً , من حفيده , وندم
راوول طبعاً انه كان قد
أخبر جده أنه لن يفكر في الزواج وإنجاب
وريث حتى يصبح في
أواخر منتصف العمر .
ورغم أن راوول تربي على احتقار العواطف ,
إلا أنه ما زال

القصر إلى الأبد .

وبعد شهرين , وفيما كان في رحلة عمل إلى

لندن , اتصل

بمحاميه بول وحدثه عن المشاكل الناتجة عن

وصية جده . وبما أنه

كان أثناء إجراء هذا الاتصال في مكان عام

, إذ كان يخلق شعره ,

اعتمد اللغة الإيطالية , توخياً للسرية . لكنه

علم أنه أخطأ فحلاقة

الشعر سارعت إلى إظهار تعاطفها معه ،
وعرضت عليه أن تلعب دور
الزوجة الزائفة ، كي يبقى قصر ((كاستيلو
ساباتينو)) للأسرة .

وفي النهاية ، باعت هيلاري روس يدها في
زواج صوري .

كم أصبح عمرها الآن ؟ لقد بلغت الثالثة
والعشرين في عيد

العشاق الأخير . كانت صغيرة الحجم لكنها
ذات مفاتن رائعة وذوق

بديع في اختيار الأزياء , فالسواد من الرأس
حتى أخص القدمين
وزينة وجهها تجعلها تبدو كمصاصة دماء .
كان غريباً أن تبدو
مصاصة دماء مثيرة إلى هذا الحد . وقبل أن
تتغير إشارة السير أخرج
محفظته وسحب منها صورة كانت هيلاري قد
دستها في يده بعد أن
وقعتها مازحة : (زوجتك , هيلاري)
وسجلت عليها رقم هاتفها .

لقد و قعا عقداً قانونياً يقضي بأن يبقى

زواجهما صورياً , كما

أوضح ه بول أن الإخلال بشروط عقد

الزواج الصوري , أي إتمام

الزواج , سيعرضه لملاحقة الزوجة التي

ستطالبه بنفقة باهظة .

لا بد أن انجذابه إليها مجرد تخيلات , فما

الذي سيجذبه إليها ؟

إنها غير مثقفة , فقد تركت المدرسة في

السادسة عشرة من

عمرها , وهي من أسرة فقيرة عاملة . إنها

تعمل في صالون حلاقة ! يا

إلهي . . حلاقة صغيرة , دائمة الضحك ,

قصيرة القامة , من دون أي

اهتمامات ثقافية أو حنكة اجتماعية . لا

يجمع بينهما سوى الجنس

البشري . وسمح لنفسه أخيراً بأن ينظر إلى

صورتها , مذكراً نفسه

بأنها لم تكن بغاية الجمال . وتملكه السخط

وهو يرى نفسه مستغرقاً

بشكل يدعو إلى القلق في مثل هذه الأفكار

.

رأى أن حاجبيها مستقيمان كثيفان , وأنفها

عريض قليلاً . لكن ,

بالرغم من عيوبها , بقيت عيناه مسمرتين

على المرح في عينيها

والابتسامة الواسعة المتألقة على فمها الممتلئ

المصبوغ بلون

التوت .

أفضت إليه ذات مرة من دون أن يسألها :)

عندما قابل جدي

جدتي , عرفت أنه حب حياتها قبل أن

يتحدثا معاً . . على أي حال ,

لم يستطيعا أن يتحدثا معاً لأنها لم تكن تعرف

حتى كلمة واحدة من

الإنكليزية كما أنه لم يكن يعرف كلمة إيطالية

واحدة . ألا تظن هذا

شاعرياً ؟) .

لم يجبها يومها , وصد كل محاولاتها لتبادل

الغزل معه . فهي

ليست من عالمه , وهو أذكى من أن يجازف

وتبع خطوات أبيه وجدده

فيقع في الغلطة الخطيرة نفسها ويتزوج فتاة

تبحث عن رجل

ثري . وهكذا كبح ذلك الانجذاب إلى امرأة

يراهها غير مناسبة .

و مع ذلك لم يستطع أن ينسى آخر مرة رأى

فيها زوجته الزائفة ,

وتلويحها له بيدها بمرح بالرغم من لمعان

الدموع في عينيها ،

و الابتسامة المتمردة على شفيتها التي قالت

له إنها ستبحث عن رجل

يؤمن بالحب الشاعر . . أتراها لم تعثر بعد

على ذلك الرجل ؟ وهل

هذا هو السبب الذي يدفعها إلى عدم طلب

الطلاق ؟

وفيما هو غارق في التساؤلات ، برزت أمامه

طفلة تلاحق كلباً .

ضغط على الكابح بشدة , وأدار عجلة

القيادة بعنف محاولاً أن

يتجنب الطفلة , فاصطدمت السيارة في

جدار بعنف بالغ .

كان يمكن لراوول أن يخرج من الحادث من

دون ضرر لو

سئحت له الفرصة للخروج من سيارته قبل

أن تصطدم بها سيارة

أخرى . فعندما حدث ذلك , أحس بألم بالغ

في أسفل رأسه أغرقه

في ظلام دامس .

كانت أصابعه لا تزال متشبثة بالصورة حين

حملوه بسرعة إلى

المستشفى حيث استدعوا بوتيستا التي

جلست تنظر باحتقار إلى

ممرضتين شابتين كادتا تلتهمان راوول بأعين

متلهفة .

كانت امرأة سمراء مدللة متسلطة ترتدي ثياباً

لا تناسب امرأة في

الستين . وكانت بوتستا ثائرة لأنهم أفسدوا

برنامجها , فعليها أن

تسافر إلى ميلانو في الغد لتحضر افتتاح

معرض خطيبها , وهي

مصممة على ألا تغير برنامجها .

منذ عشرة أيام , أثار راوول غضبها عندما

أخبرها أن الشاب

الوسيم الذي تريد أن تتزوجه , معروف

بملاحقة النساء الثريات

الكبيرات في السن . لقد أهانها راوول بشكل

فظيع . ما الذي يمنع

دييتر من أن يرغب فيها لنفسها ؟ كانت

واثقة من أنها لا تزال حسنة

المظهر , ذات شخصية جذابة للغاية .

عقدت أربع زيجات انتهى كل

منها بطلاق مكلف , لكنها لم تقلل من إيمانها

بالحب و الزواج .

وعندما جاء الطبيب أخيراً , وأخبرها بأن

راوول يعاني مؤقتاً من

فقدان ذاكرة جزئي ، تملكها إحباط بالغ .

. هل زوجة السيد ساباتينو قادمة ؟

. إنه ليس متزوجاً .

نظر إليها الطبيب مدهوشاً ثم مد لها يده

بصورة مكرمة قليلاً :

((من هذه إذن ؟)) .

تأملت بوتيسا الصورة وما كتب تحتها بدهول

. هل راوول متزوج .

من امرأة إنكليزية ؟ يا إلهي !

كان زواجه سيثير زوبعة في الصحف ما

سيشعره بالاشمئزاز .

ورأت أن تفكيره هذا سليم وقراره صائب .

متى كان ينوي أن يخبر

أقاربه أنه اتخذ زوجه ؟ وتملكها شعور

بالسعادة وهي تفكر في أن

وجود زوجته سيعفيها من أي مسؤولية نحوه

أثناء وجوده في

المستشفى . واندفعت إلى الهاتف لتتصل

بعروس ابن أخيها

الغامضة .

ما إن دخلت هيلاري إلى شقتها الصغيرة ,

ورأت الانزعاج على

وجه أختها إيما , حتى انقبض قلبها .

سألتها وهي تلقي جانباً بصحيفة المساء التي

أحضرتها معها :

((ماذا حدث ؟)) .

. اتصلت امرأة أثناء غيابك . أريدك أن

تجلسي قبل أن أحدثك

بما أخبرتني به .

كانت إيما فتاة طوية رشيقة ذات نظرات ثابتة

تعكس نضجاً غير

عادي بالنسبة إلى فتاة في السابعة عشرة .

قطبت هيلاري حاجبيها : ((لا تكوني

سخيفة . أنت هنا بسلام ,

ويس لي من الأقارب سواك . . من الذي

اتصل . . الخبر ؟

فأجابت أختها بصوت خافت متوتر : ((أنا

لست كل ما لديك من

أقرباء . راوول . . راوول ساباتينو . لقد

أصيب في حادث سيارة)) .

شحب وجه هيلاري , وأخذت تحرق في

أختها بذعر وقد وهنت

ساقاها : ((وهل . . . ؟)) .

. نعم . . ما زال حياً .

وضعت ذراعها حول كتفها وجعلتها تجلس

على أريكة صغيرة

في المطبخ مضيئة : ((اتصلت عمه راوول .

عن إنكليزيتها ضعيفة

للغاية , فلم يستغرق الحديث سوى دقيقتين

تقريباً

. هل إصابته خطره ؟

راحت هيلاري ترجف شاعره بالغثيان , فيما

الأفكار المخيفة

تملاً ذهنها . وفيما هي تصغي إلى جواب إيما

, كانت تدعو الله أن

يحمل لها ذلك الجواب بعض الأمل .

. إن لديه إصابة في رأسه . و تكون لدي

انطباع بأنها على شيء

من الخطورة . لقد نقلوه إلى مستشفى آخر .

تنفسي بعمق , يا هيلي .

ركزي على حقيقة أن راوول بخير . إنك

تعانين من صدمة , و لكن

بإمكانك أن تكوني معه غداً صباحاً .

دار رأسها وهي تنطوي على نفسها ,

راوول حب حياتها السري

الغالي . . رغم أنها لم تكن بالنسبة إليه سوى
وسيلة ساعدته في إنهاء
مشكلته . كان غريباً ومفزعاً أن يؤثر فيها
الحب بهذا الشكل .
راوول , زوجها الذي لم تستمتع معه حتى
بقبلة . . . راوول
الطويل الأسمر القوي البالغ الحيوية , راوول
يصارع في هذه اللحظة
الموت على سرير المستشفى . واشتد
الخوف , ودعت الله أن

يشفيه , لكنها لم تستطع أن تتحلى بالتفاؤل
لقد مضت سبع سنوات

منذ سلب حادث سيارة والديها فاضطربت
حياتهما , هي

و إيمان . حينذاك , لم يسفر انتظارهما الطويل
في المستشفى , عن أي
معجزة تشفيها .

وأخيراً رددت كلمات أختها : ((أن أكون
معه . أكون مع

راوول !؟)) .

أيمكنها أن تسافر إليه ؟ هل تجرؤ على

المحاولة ؟ وتملكها أمل

عارم . لعلها زوجته بالإسم فقط , لكن هذا

لا يعني أنها لا تستطيع

أن تمنى له الخير . ألم تتصل بها عمته

لتخبرها عن حادث السيارة ؟

يبدو أن زواجهما لم يكن سراً كما ظنت ,

ويبدو أيضاً أن أقاربه

يعتقدون أن زواجهما هو أثر من مجرد زواج

على ورق .

أجابت إيما تطمئنها : ((أعرف أن الوقت

مهم وعرفت بالضبط ما

الذي ترغبين في فعله . لهذا حجزت لك

مقعداً على متن الطائرة التي

ستقلع إلى جنيف في الصباح الباكر . . .))

.

جاهدت هيلاري لتكبح لهفتها و تتعقل :))

أريد أن أذهب إليه

طبعاً , ولكن . . .)) .

. ما من (ولكن) .

ونفضت إيما واقفة : ((إياك أن تمنعك

كرامتك من الاندفاع إليه

و البقاء معه . أنت زوجته وأراهن على أن ما

كان بينكما ذات يوم ما

زال قابلاً للإصلاح . إنني كبيرة بما يكفي

الآن لكي أقدر سوء

تصرفي و نتائجه)) .

فوجئت هيلاري للغاية بهذا الحديث . فحتى

هذه اللحظة , لم

يكن لديها أي فكرة عن أن إيما تلوم نفسها
على فشل زواج أختها .

فقال لها : ((علاقتي براوول لم تنجح , هذا
كل ما في الأمر . لا

تظني أن لك أي علاقة بذلك)) .

. كفي عن محاولات حمايتي . كنت فتاة أنانية
, فبعد أن

فقدنا الأب و الأم كنت من التملك على
حد جعلك تخشين حتى

السماح لي بمقابلة راوول !

رأت هيلاري أن كل كذبة , حتى لو كانت

بيضاء لا ضرر من

ورائها , تترد في النهاية على صاحبها . لا

يمكنها أن تنظر في عيني

أختها الصغرى بعد الآن .

وقالت بضيق : ((لم تجر الأمور بيني وبين

راوول على هذا

الشكل)) .

. بل كان كذلك . كان اهتمامك منصباً علي

أولاً , وجعلتني

أفسد يوم زفافك وأدمر زواجك حتى قبل أن

يبدأ . كنت فظة للغاية

بالنسبة لراوول , حتى أنني هددت بالهرب

من البيت إذا حاولت

أن تجعليني أعيش في الغربة . وقفت بينكما .

. طبعاً فعلت . كنت

تخبينه كثيراً . . . وما زلت لا أصدق مدى

قسوتي نحوك . .

كافحت هيلاري لكي تركز على أفكارها

كانت مركزة على حالة راوول

الصحية ، وأخيراً قررت أن تشرح لأختها

حقيقة الموضوع في وقت

لاحق ، فقالت : ((ماذا قالت عمه راوول

بالضبط ؟)) .

. قالت إنه كان يسأل عنك .

نطقت إيما بهذه الكذبة البيضاء ، داعية الله

أن يغفر لها . لكنها

كانت تأمل بما يكفي من الثقة كي تسافر إلى
حيث زوجها .

أترى راوول كان يسأل عنها حقاً ؟ وتملكتها
دهشة تبعثها بهجة لا

توصف . وفجأة , وجدت نفسها قادرة على
مواجهة كافة التحديات .

يمكنها أن تسير على الجمر لتصل إليه , أن
تجتاز البحيرات سباحة ,

وتتسلق أعلى الجبال لتكون بجانبه . راوول
بحاجة إليها ! إذا كان

رجل بغرور راوول و ثقته بنفسه يطلب

حضورها , فهذا يعني أنه

مريض للغاية . وتملك هيلاري القلق ,

وأسرعت إلى غرفتها تحزم

أمتعتها .

تأوهت وهي تختار الضروري من ثيابها , ثم

هتفت : ((لكن

صالون الحلاقة . . من الذي سيشرف عليه

؟)) .

. سالي . . سالي ويذرستن . عندما مرضت

وحلت مكانك قلت

إنها ذكية .

تناولت هيلاري الهاتف . كانت عيناها

شاردتين رغم بريقهما ,

وشعرها الحريري يحيط بوجهها البيضاوي

المتألق . كان لون أشقر

فضياً فتجد نفسها غالباً مرغمة على أن تؤكد

لزبائنها أن لونه طبيعي .

وكانت أحياناً تضع ظلاً خفيفاً من لون آخر

على أطرافه , و في هذا

الشهر استعملت لونا وردياً باهتاً أنيقاً .

رتبت أمر حصول سالي على مفاتيح الصالون

, ثم اتصلت بحلاقة

أخرى اعتادت أن تردد على الصالون عندما

يزيد العمل عن الحد .

تدبرت أمر كل هذه التفاصيل , رافضة حتى

التفكير في تكاليف

مثل هذه الترتيبات . ونظرت إلى أختها إيما ,

ثم أجفلت : ((كيف

أتركك هنا في هذه الشقة وحدك ؟)) .

. فرصتي المدرسية ستنتهي غداً فأستقل

القطار عائداً إلى

المدرسة . أرجو أن أتمكن من القيام بذلك

بنفسي . أنا في السابعة

عشرة , يا هيللي .

أحتضنت هيلاري أختها بمحبة بالغة . لم
تستطع إلا أن تعجب
للتأثير الذي أحدثه راوول في حياتهما , هي
وشقيقتها . فتلك الصفة
المالية غيرت حياتهما . إنها مدينة له بدين لن
تستطيع إيفاءه أبداً !
منذ أربع سنوات , كانت الشقيقتان تعيشان
في شقة حقيرة معتمة
قدرة . وكانت إيما ذكية ماهرة ما جعل
هيلاري تقرر ألا تدع مأساة

فقدان والديهما تمنع الفتاة الصغيرة من

متابعة تعليمها . حينذاك ,

أحست هيلاري بالفشل عندما اختلطت

أختها الصغرى بمجموعة من

الفتيان سيئي السمعة ومن ثم أخذت تتغيب

عن المدرسة . حينذاك ,

كانت هيلاري . تعمل لساعات طويلة , ولم

يكن وضعها يسمح لها

بالانتقال إلى منطقة أفضل , أو بقضاء وقت

أطول في الإشراف على

مراهقة متمردة .

لكن سخاء راوول قلب حياتها رأساً على

عقب . لم تشأ في

البداية أن تقبل نقوده , لكنها عادت

فأدركت أن تلك النقود ستمنحها

فرصة تعيد بها أختها إلى الصراط المستقيم .

فأنفقت منها على إنشاء

صالونها الخاص بعيداً عن ضاحية ((هونسلو

((في لندن , وذلك من

أجل مصلحة إيمانها , كانت تعتقد أنها قامت

بالأمر الصواب . لكنها

تساءل أحياناً عما إذا كان راوول ليحترمها

أكثر أو حتى يبقى على

اتصل بها لو أصرت على رفضها لنقوده وعل

مساعدته من دون

مقابل .

على أي حال , اختارت أن تتزوجه من باب

المساعدة ليس إلا .

كانت متلهفة للقيام بأي شيء يرضيه , وهو
الذي لم يكن يعلم , من
قبل , بوجودها في هذه الحياة . لكن المخزن
هو أنها ما إن
استسلمت لإغراء المال وسمحت لنفسها بأن
تقبله منه لتحل
مشاكلها , حتى غيرت كل ما بينهما .
حينذاك , قال لها بلهجة مطاوعة : ((أحب
أن أدفع أجر كل خدمة
تقدم لي , فأتجنب أي سوء تفاهم)) .

وتملكها الفرع إذ جعلها تشعر وكأنها صيادة
رجال .

وفي اليوم التالي , حاول الدكتور ليرذو أن
يكتم دهشته عندما
أشارت سكرتيرته إلى زوجة راوول ساباتينو ,
بالدخول . فالمرأة
الشقراء , الصغيرة الحجم , ذات العينين
الزرقاوين الواسعتين
المليئتين باللهفة لم تكن ما توقعه أبداً .

قالت هيلاري بسرعة : ((حاولت أن أتصل

قبل أن أغير إنكلترا ,

لكن موظف الهاتف لم يستطع أن يعثر على

رقم هذا المكان ((.

كانت متوترة الأعصاب , فهذا المستشفى لا

يشبه برفاهيته أي

مستشفى آخر دخلته من قبل . وقوبلت

أسئلتها المتلهفة عن حال

راوول بصمت مهذب . وشعرت بالإحباط

لأن عمه راوول , بوتستا ,

ليست بانتظارها لتحيتها وتيسر طريقها ما

اضطرها إلى تقديم نفسها

بصفتها زوجة راوول ساباتينو . عندما فعلت

ذلك , تملكها شعور

بأنها كاذبة لكنها كانت مقتنعة بأنها إذا قالت

الحقيقة عن زواجهما

فلن يُسمح لها بالدخول لرؤية راوول .

مد الرجل الشائب يده ليصافحها :))

هذا مستشفى خاص ,

ومرضانا يطلبون التكتّم و الأمان , لهذا لا

يسمح بالزيارات . لقد

شعرت بالارتياح لحضورك بهذه السرعة ((.

ولاحت لها الكآبة خلف هذا التطمين

فشحب وجهها وشهقت :

((راوول ؟)) .

. آسف . لم أقصد أن أثير قلقك . فعدا

عن صداع شديد , لا

يعاني زوجك سوى من رضوض بسيطة .

وبابتسامة لطيفة أجلسها الطبيب على مقعد

: ((لكن ذاكرته لم تكن

محظوظة إلى هذا الحد)) .

تبددت أسوأ مخاوفها وغاصت هيلاري في

مقعدها الكبير وقد

بدت عليها الحيرة : ((هل هي . . . ذاكرته

. ((؟

. تلقى السيد ساباتينو ضربة قوية على رأسه

فغاب عن الوعي

لساعات . فقدان الإحساس بالزمان و

المكان بعد حادث كهذا , ليس

أمرأ غير عادي . . . لكن , ولسوء الحظ ,

يبدو أن ضعفاً مؤقتاً أصاب

الذاكرة .

تنبّهت إلى لهجة الرجل البالغ الرزانة . فسألته

وقد جف فمها :

((المعنى ؟)) .

. لقد خضع لفحص بعد استيقاظه من

غيبوبته فكشف عن

اختلاط التواريخ في ذهنه .

. التواريخ؟؟

. ذاكرة راوول مسحت السنوات الخمس

الماضية من حياته .

وهو نفسه , لم ينتبه إلى وجود مشكلة , حتى

أشرت أنا إلى ذلك . إنه

يتذكر كل ما مر عليه من ماضيه , لكن

الأحداث التي عاشها هذه

السنوات الخمس هي كتاب مغلق بالنسبة
إليه .

نظرت هيلاري إليه غير مصدقة : ((كل

تلك . . . السنوات

الخمس ؟ هل أنت واثق من ذلك ؟)) .

. طبعاً كما أن السيد ساباتينو لا يتذكر حاد

اصطدام سيارته .

. ولكن لماذا حدث له هذا ؟

. ليس مستغرباً أن يعاني الشخص من فقدان

جزئي للذاكرة بعد

حادث يصيب الرأس , ولكن هذه الحالة

تدوم لفترة قصيرة فقط

وتدعى ((فقدان الذاكرة المتفهر)) . أحياناً

يعود السبب إلى صدمات

عاطفية أو كآبة , لكنني استبعد ذلك في هذه

الحالة بالذات . إنها

حالة مؤقتة بكل تأكيد , وربما سيتذكر كل

ما نسيه . ربما سيتذكر كل

شيء دفعة واحدة .

فسألته بضعف : ((وكيف يتقبل راوول ذلك
؟)) .

. عندما يدرك زوجك كم من الوقت أغفل

ذاكرته , سيصاب

بصدمة بالغة .

. أنا واثقة من ذلك .

أضاف الطبيب بأسف : ((قبل أن نكتشف

هذا , كان السيد

ساباتينو على وشك أن يعود إلى مكتبه

متجاهلاً نصائح الأطباء . في

الواقع , هذا الوضع يمثل تحدياً محبطاً لا يمكن
قبوله بالنسبة إلى

رجل مثقف قوي الشخصية اعتاد السيطرة
((.

ارتسم الذعر على ملامح هيلاري المعبرة
وهي تفكر في غياب

السنوات الخمس التي اختار الطبيب أن
يصفها ببساطة : اختلاط

التواريخ في ذهنه .

وقالت بلهفة : ((بالله عليك . . حتى

راوول لن يتذكرني !)) .

. كنت سأصل إلى هذه النقطة . لكنني

مسرور جداً بوجودك هنا

لكي تمنحي السيد العون الذي

يحتاجه لمواجهة هذا

الوضع . . .

فرفعت حاجبيها : ((ولكن أليست عمّة

راوول هنا , هي أيضاً ؟)) .

. علمت أن السيدة غادرت البلاد هذا

الصباح لحضور مناسبة

اجتماعية .

تملكها الذهول , وغصت بريقها ولم تعرف

بماذا تصف العمة

بوتيسا . ودار رأسها وقد اختلقت المشاعر

في داخلها . لقد اطمأنت

في البداية إلى عدم خطورة حالة راوول , لكن

علمها بفقدانه لذاكرته

جعلها تشعر بالعجز . وحاولت أن تتخيل

نفسها تستيقظ لتجد نفسها

كما كانت منذ خمس سنوات وليست كما

هي الآن , بمزيد من القلق

لما ستؤول إليه حال راوول من التشتت

الاضطراب .

وتملكها الاشمئزاز لموقف عمته غير المكترث ,

لكنها لم تدهش

لأنها عاشت هي و أختها هذه المأساة مع

قريبة لهما . و فكرت في

الدين الذي تشعر بأنها مدينة به لراوول ,
وبمقدار رغبته في رؤيته .

يمكنها أن تساعد وتسند . كانت هذه

فكرة طبيعية مثيرة , و لكن أالن

يكون تصرفها كزوجة حقيقية نوعاً من الخداع

؟ إنها زوجة على الورق

ليس إلا .

وتملكها موجة من الشعور بالعار والاشمئزاز .

على أي حال ,

لقد وعدت راوول بالألا تكشف أبداً عن

شروط زواجهما لأي كان .

لكن ، ولكي تريح ضميرها ، قررت أن

تكشف نصف الحقيقة ، فقالت

بارتباك : ((علي أن أعترف بأننا . . أنا و

راوول كنا . . متباعدين !)) .

. أشكرك على ثقتك بي وأطمئنك إلى أن

ما أخبرتني به لن

يعرفه أحد . لكنني أطلب منك ألا تكشفني

عن أي شيء قد يضايق

مريضى . فما يعانىه زوجك من توتر بالغ

يمكن أن يشكل خطراً على

شفائه التام .

شحب وجهها وهي تسمع هذه الحقيقة

القاسية , ثم أومأت بلهفة

تظهر تفهمها . لن يعلم راوول منها ما قد

يكدره .

. بصفتك زوجة السيد ساباتينو , أنت أقرب

الناس إليه ما

يمكنك من أن تساعدية أكثر من أي شخص

آخر . إن عدد موظفيه

الذين يمثلون لرغبته لا يحصى , لكن وضعك

ولحسن الحظ , أفضل

بكثير . زوجك بحاجة إلى أن يشعر بأن لديه

شخصاً يمكنه أن يثق

به . إياك أن تسيئي التصرف فحالته الحاضرة

جعلته لا يحتمل شيئاً .

. لا أستطيع أن أتصور راوول عاجزاً . . .

وغصت بدمعها ولم تستطع أن تواجه نظرات

الطبيب الرقيقة .

كانت تشعر بألم بالغ لأنها هي أيضاً أصبحت

من تلك الفئة الحقيرة

بعد أن دفع راوول لها ذات يوم أجراً لتنفيذ ما

يريده . لكنه في الواقع

لم يجد سواها لتنفيذ هذا الدور , وهذه

الحقيقة دمرتها .

. اسمعي , إن مسؤوليتك تقضي بأن تقفي بينه

و بين موظفيه الذين

يرغبون في رؤيته . ((مصرف ساباتينا))

يجب أن يدار من دونه حالياً ,

فهو بحاجة إلى راحة , إنني على إطلاع تام

على عالم الأسواق

المالية ما يجعلني أدرك أن أي إشارة إلى حالة

السيد ساباتينو يجب

ألا تتجاوز جدران هذه الغرفة .

قطبت هيلاري إذ ليس لديها حتى شبه

اطلاع على أحوال

الأسواق المالية . و هي لا تفهم شيئاً من هذا

الجانب من حياة راوول

كما أن اهتمامها بهذا الأمر محدود للغاية . و

مع ذلك , استوعبت ما

يبدو أنه دورها . إن واجبها هو أن ترعى

راوول حتى يستعيد ذاكرته .

. هل يمكنني أن أراه الآن ؟

تذكر الطبيب الرعب الذي بدا على ملامح

مريضه عندما اكتشف

أنه متزوج , لكنه سرعان ما نبذ هذه الصورة

من ذهنه . لعل هيلاري

ستتمكن من الوقوف بحزم في وجه برودة

زوجها البليونير وشخصيته

المستبدة . . لكن حتى لو كان الدكتور

ليزدر مغامراً . . فهو لا يجرؤ

على المراهنة على النتيجة .

أخذت هيلاري نفساً عميقاً ثم تبعت

الممرضة . بعد دقائق سترى

الرجل الوحيد الذي استطاع أن يجعلها تبكي

. . .

* * *

. . . نهاية الفصل ((الأول)) . . .

.....

.....

.....

.....

.....

.....

2.

علاقة سرية

زوجة . . .

أخذ راوول يفكر في ذلك مكتئباً .

فبالرغم من أنه في الثلاثينات من عمره , إلا

أنه يبدو وكأنه

ضحى بحريته , كما فعل أبوه وجدده من قبل
. . . تزوج فتاة صغيرة ,

رغم أنه أقسم ألا يرتكب الغلطة نفسها .
لم تستطع الشهوة أن تسيطر عليه قط , كما
أنه لم يؤمن بالحب

يوماً . لذا لا بد أنه لم يكن للحب علاقة
بتغير موقفه من الزواج .

فثمة أمور لا يحتاج إلى ذاكرة لكي يعرفها ,
أمور يدركها بالغريزة .

الزوجة , التي اختار عقله المشوش أن ينساها
 , يجب أن تكون
طويلة , رشيقة , سمراء فهذا هو نوع النساء
الذي يجذبه . ويجب أن
تكون من أسرة غنية لا تشوب سمعتها شائبة
 . يمكن أن تكون
موظفة , مديرة بنك أو حتى خبيرة اقتصادية
 , عسى أن له هذا
بعض الراحة . لعله أثناء مناقشة بعض
خطط الاستثمار , أدرك أنه

عثر على شريكة عمره . امرأة هادئة غير

انفعالية تحترم عمله عندما

يشغله عن رؤيتها .

سمع نقراً على الباب , فالتفت من حيث

يقف عند النافذة , بطوله

الفارح , وكتفيه العريضتين وبذلته البالغة

الأناقة . وسمع صوتاً يقول

بلهجة إنكليزية : ((هلا أغمضت عينيك

قبل أ أدخل . إذا لم تفعل

فقد أشعر بالحماسة حين أعرفك بنفسي على
أني زوجتك)) .
الصدمة الأولى . . هي أنه تزوج من أجنبية
ذات لهجة إنكليزية
عامية بدلاً من أن تكون لهجة تنم عن
الطبقات الراقية . الصدمة
الثانية . . هي أنها تستعمل لهجة المراهقين
وتطلب أشياء طفولية .
وفي الصمت المتوتر , ارتفع صوتها بإلحاح :
((راوول ؟)) .

أطبق راوول أسنانه بفروغ صبر . أمامه

خياران . . إما أن يطردها

عن الباب قبل أن تدخل , و إما أن يدعها

تدخل ليعرف بالضبط من

هي .

. لا بأس . . .

. أظنك متوتراً أنت أيضاً . ولكن , بما أنني

هنا , ليس عليك أن

تقلق بعد الآن .

أدار ظهره للباب وقد التمعت عيناه
السوداوان بعدم تصديق , فيما
أخذ يتنفس بعنف وبشكل متواصل .
الصدمة الثالثة . . . أنه متزوج من
امرأة استطاعت أن تثير عداؤه و تجرح
شعوره بمعاملتها له بعدم
احترام , وذلك خلال دقيقة واحدة .
قالت وهي تدخل بسرعة وتغلق الباب
خلفها : ((لقد تأثرت تماماً

لسؤالك عني في المستشفى ((.

سألها غير مصدق : ((أنا سألت عنك ؟

وكيف أسأل عنك بينما أنا

لا أتذكرك ؟ ((.

سألته بذهول , ناسية ما كانا يتحدثان عنه :

((يا إلهي ! ماذا تفعل

خارج السرير ؟)) .

استدار بعنف يواجهها وهو يقول ساخراً : ((

أخبريني , هل لديك

قائمة تعليقات سخيفة , أم أنها تخطر في

بالك من دون جهد ؟) .

حجم راوول وحده كان ينذر بالخطر وهو

يقف منتصباً على

مسافة قريبة منه . كان عليها أن ترفع رأسها

لكي تراه جيداً , ورغم

أنها أجفلت لكلامه هذا , إلا أنها لم تستطع

تحويل نظراتها عنه , بل

جف فمها و تسارعت دقات قلبها أمام

ذلك الواقف أمامها مجسداً

رغباتها و أحلامها .

جمال الرجولة في ملامحه السمراء أدرا رأسها .

كان وسيماً إلى

حد لا يصدق , وجذاباً بشك صاعق . لكنه

أيضاً ذو شخصية

مغناطيسية مسيطرة باردة . لم يتسم , ولم

يدهشها هذا , فابتسامته

الحساسة نادرة . وفهمت هي . . فهمت

حتى تهجمه عليها .

اعتصر قلبها بتسامح المحب . ما كان ليقر

بالحقيقة حتى تحت

التعذيب , لكنها تعلم أنه يشعر بخوف لم

يعرفه في حياته .

قالت له : ((لا أحب السخرية)) .

. وأنا لا أحب الأسئلة السخيفة .

لقد اكتشف أن عليه أن يخفض بصره لكي

تصبح زوجته على

مرمى نظره . كانت صغيرة الحجم ولكن ليس

إلى حد أن تشبه

الدمية . بدت في أوائل العشرين من العمر

ذات شخصية مميزة , كما

لاحظ مستسلماً رغماً عنه لشعور بالامتنان .

كان لون عينيها أشبه

بلون بحر هائج وشعرها الأشقر يميل إلى

الفضي , وقد صبغت

أطرافه بلون وردي . وردي ؟ لا بد أن

الضوء يخدعه . ولاحظ بعض

النمش على أنفها وحمرة شفيتها الأثبه بلون
الكرز ما يجعل الناسك
يتملكه الإغراء .
أدهشه التوتر الذي تملكه فقد تجاوز عهد
المراهقة منذ زمن
طويل ! حين اعتاد جسده التحكم في
مشاعره . لكن عندما أخذت
نظراته تتأمل القميص المقفل الأزرق الذي
ارتدته مع الجينز المحكم

على وركيها والذي يبرز مفاتها الأثوية .

وعندما أخذ عقله يكافح

ليقر بالصدمة الرابعة بعد رؤية زوجته , وهي

صدمة أناقتها الرخيصة ,

كانت هرموناته قد انتصرت بسهولة . لعله

لا يتذكرها , لكن الرغبة

التي أشعلتها في جسده أشد تأثيراً من الذاكرة

أو الكلمات . اعتاد

راوول أن يفسر ما يتعذر تفسيره , وهو

يشعر الآن بالرضى لإدراكه

سبب زواجه منها .

واشتبكت عيناها بالعينين الذهبيتين , فقالت

: ((أظن أن

عليك أن تكون في سريرك الآن)) .

. هل من عادتك أن تخبريني بما علي أن أفعله

؟

طرح سؤاله هذا في محاولة لتحذيرها , لكن

نبرته انتهت بشكل

أجش غريب .

. وما رأيك أنت ؟

وما إن قابلت نظراته الذاهلة حتى جف فمها
وأخذ قلبها يخفق .

حاولت جهدها أن تملأ رئتيها بالهواء و لكن
عبثاً . كانت تعلم

بالضبط ما يحدث لها , إلا أنها لم تستطع منع
ذلك فهذا هو الرجل

الذي أفقدها صوابها . كان شوقها وهفتها
إليه عارمين .

وتمكن بفضل قوة إرادته من أن يحول نظراته
عنها . لقد فهم ,

على الأقل لماذا تزوج امرأة تفتقر إلى الأناقة

. إنها شهوة . . شهوة

من دون تفكير , شهوة عنيفة هائجة . وتوتر

فمه الجميل .

تمتم ببرودة : ((المرأة التي تملي علي ما أفعله

حمقاء . وأنا واثق

من أنك لست من تلك الفئة)) .

قالت بعناد وقد توهج وجهها فيما تصلب

ظهرها و هي تستعين

بكل ذرة من كرامتها لكي تترفع عن ضعفها

المذل : ((لكنني أيضاً لا

أخاف بسهولة . بعد ما حدث لك , عليك

أن تلتزم السرير)) .

فقط حاجبيه الجميلين : ((لست بحاجة

إلى مزيد من العناية

الطبية . آسف إذا ما أثرت قلقك لكنني

عائد إلى مكثي)) .

فتحت عينيها على اتساعهما : ((لا أظنك

جاداً)) .

. بما أنني كذلك غالباً , لا أدري لماذا تظنني

غير جاد , أو

تعتقدين أن من الممكن أحتاج إلى رأيك في

هذا الموضوع !

فأجابت بغضب : ((حسناً , ومع ذلك

سأعطيك رأيي أعجبك أم

لا . لعلك تظن أن الخيار خيارك فتصرف

وكأنك لا تعاني من

شيء , لكنني أظن هذا حماقة بالغة منك))

التمعت عيناه غضباً : ((أنا . . .)) .
. إنك تعاني من فقدان للذاكرة , ولا تفكر

جيداً في ما تقوم

به . . .

فرّغ رأسه بكبرياء : ((أنا لا أتصرف أبداً

من دون تفكير . . .)) .

. بذهابك إلى العمل , تنكر أن لديك مشكلة

. لا أستطيع أن

أدعك تفعل ذلك .

فقال ساخراً : ((أخبريني . هل كنا , قبل

حادث السيرة , سائرين

في معاملات الطلاق ؟) .

. لا أعرف شيئاً عن هذا !

ووضعت يديها على خاصرتيها فيما التمعت

عيناها الزرقاوان

عزماً و أردفت : ((قد تكون رجلاً شديد

الكفاءة . لك يمكن أيضاً أن

تكون بالغ العناد وغير عملي أبداً . حالياً ,

من واجبي , أن أمنعك

من القيام بما قد تندم عليه لاحقاً . لذا , عد
إلى سريرك .

أخذ يتأملها بعينين لامعتين زادتهما أهدابه
السوداء سحراً , وكأنها

مجنونة بحاجة إلى من يسيطر عليها : ((لا
أحد يجروء على أن يخبرني

بما علي أن أفعله . . ويدهشني أن تظني أن
لديك الحق في أن

تفرضي رأيك عليّ)) .

. لن أعتذر عن حمايتك من نفسك . إذا

عدت إلى المصرف ,

فسيدرك موظفوك أن ثمة خطب ما .

. لم يحدث لي شيء , إنه مجرد تشتت ذهني

بسيط ومؤقت . .

فقلت بجرارة : ((لكنك نسيت أموراً غاية

في الأهمية من حياتك

الماضية . . أظن أن هذا أمر بالغ الأهمية ,

وأكثر خطورة مما تريد

أن تعترف . لن تتمكن من أن تتذكر بعض

العملاء و الموظفين .

ستكون متأخراً عن عمك الغالي خمس

سنوات . من ذا الذي تجعله

موضع ثقتك فتأخذه معك لتجنب ارتكاب

أخطاء مخرجة ؟ ثمة أمر

واحد أعرفه عنك , يا راوول و هو أن

الشخص الوحيد الذي تثق به

هو نفسك ! ((.

قوة مشاعرها جعلتها ترتجف لكنها حدقت

فيه متحدية . وسرعان

ما تغيرت ملامحها عاكسة القلق حين رآته

يعبس وكأنه يتألم . عندئذ

فقط لاحظت شحوب وجهه البالغ و الرجفة

الخفيفة في يده وهو

يرفعها إلى رأسه .

وضعت يدها على يده تدفعه بلطف

للدجلوس على المقعد قائلة :

((إجلس . . .)) .

قاوم محاولتها كي تساعده : ((لكنني لست

بحاجة . . .)) .

قالت غاضبة وهي تدفعه للجلوس : ((

أخرس و اجلس)) .

تأوه بإحباط : ((إنه مجرد صداع)) .

لكنها كانت قد قرعت الجرس لتستدعي

الممرضة التي سرعان ما

حضرت يتبعها الطبيب ما منع راوول من أن

يظهر غضبه لتدخلها في

شؤونه .

على أي حال , أدرك أن زوجته يملكها

الذعر , إذ بدا هذا جلياً

على وجهها الذي يعكس أفكارها بوضوح .

كانت عيناها مظلمتين من التوتر وهي تقف

بتواضع في آخر

الغرفة مبالغة في احترام الأوامر الطبية , بينما

تقضم أظافرها

قلقاً .

لم يستطع أن يحول انتباهه عن زوجته هذه

التي تقضم أظافرها .

كانت ترتجف وقد بدا عليها الخوف الشديد
عليه .

لعل الاهتمام بصحته هو ما جعلها تصرخ في
وجهه . يبدو أنها

مولعة به , لكنها قد تكون أكثر ولعاً بثروته
الضخمة و كل ما استطاع

أن يشتريه لها . يبدو فعلاً أنها مولعة به . كان
يعلم أن النساء

ممثلات بارعات , ولكن عشيقاته اللاتي
يتذكرهن يفضلن التعذيب

على قضم أظفرهن .

كما أن زوجته ليست واضحة الشخصية كما

ظنها في البداية .

فخلف هذا الظرف و المفاتن الأنثوية يكمن

تمرد ونار . كان معتاداً

على نساء لا يرفضن له أي طلب و يحاولن

جاهدات إرضاءه . لم

يقابل قط امرأة لديها ما يكفي من الجرأة

بحيث تصيح في وجهه , أو

تخاصمه . في الواقع , لم يكن يجادل مع أحد

. . . . أبداً ! لم يكن

يوماً بحاجة إلى ذلك .

تملك هيلاري شعور بالذنب و الاضطراب ,

فراوول ما زال يعاني

من آثار الصدمة و قد فقدت أعصابها

وصرخت في وجهه . كيف

أمكنها أن تفعل ذلك ؟ إنها , في العادة ,

هادئة الطباع , سهلة

المعشر . . . فما الذي حدث لها ؟ فبدلاً من
الهدوء و الإقناع و الصبر ،
أظهرت حدة و هيجاناً و راحت تكيل له
التهم من دون تبصر . وقد
فوجئ بذلك . بدا غير معتاد على أن يصيح
الناس في وجهه ، ولم
تصدق أنها فعلت ذلك .
حبست أنفاسها وأخذت تتأمله . . . وخفق
قلبها . كان شعره

الأسود الكث مشعثاً , وجانب وجهه متوتراً

, وأهدابه السوداء تظلل

وجنتيه السمراوين . كانت وسامته غير عادية

, ورجولته تدير رؤوس

النساء أينما ذهب . ما زال يجبس أنفاسها

تماماً كما حدث حين رآته

أول مر منذ أربع سنوات تقريباً .

دخل راوول من باب صالون الحلاقة وهو

يتحدث في هاتفه

الخليوي . كان الصالون مزدحماً فوقف جامداً

, رافعاً حاجبيه

الأسودين بدهشة خفيفة و هو يستوعب ما

حوله . وفهمت هي ما

حصل على الفور . . . لقد أخطأ كبعض

الزبائن من قبله , ودخل ظناً

منه أنه ذلك الصالون الخاص الذي يتعد

عنهم أمتاراً عدة فقط في

الشارع نفسه . وفي تلك اللحظة , وفيما

كان يوشك أن يستدير على

عقبه ليخرج , دفعها شيء إلى الأمام .

شيء ؟ وسامته المذهلة جعلتها

تتحرك . كيف يمكنها أن تصف مدى لهفتها

إلى أن تمنعه من الخروج

من حياتها ببساطة ؟

اقترحت وهي تقطع الطريق عليه , معتمد

على رفض الذكر

الغريزي للاعتراف بالخطأ : ((تابع حديثك ,

و أنا سأهتم بشعرك)) .

ألقى عليها نظرة حائرة أعلمتها أنه لم يرها

حقاً , وأنه مهتم

بحديثه أكثر من اهتمامه بها . توقعت أن

يتغير ذلك عندما أخذت

تُعمل مقصها في شعره . كانت تعلم أن

الرجال الوسيمين يحرصون

على أن تكون تسريحة شعرهم ممتازة لكن

راوول قال لها بفروغ

صبر : ((إفعلي ما يفترض بك فعله)) .

وعندما طلبت منه أن يعلمها ما يريد , نظر

إليها غير مصدق :

((لكن المسألة مجرد قصة شعر , وهذا ليس

بالأمر الهام)) .

ملامستها لشعره الكث الأسود ملأتها بهجة .

وعندما دفع الأجر ,

دعته أن يعود مرة أخرى . وكان قد خرج

لتوه عندما لاحظت وفرة

الأوراق المالية التي وضعها على المكتب ,

فظنت أنها سقطت من

يده على حين غفلة , وهرعت خلفه إلى

الشارع . عندما حاولت أن

تعيد إليه النقود , قال : ((إنها بخشيش)) .

وحدق إليها من عليائه , وقد توقفت خلفه

سيارة ليموزين بطول

القطار نزل منها سائق خاص بملابس رسمية و

استدار يفتح له الباب .

تمت وقد أذهلها مظهر لسيارة الفخم))

البخشيش)) . غي

العادي : ((ولكن هذا كثير . . .)) .

لكنه هز كتفيه بحركة أرسقراطية وهو يتوارى

داخل سيارته .

عادت هيلاري إلى أرض الواقع لتجد أن

راوول استعاد لونه

الطبيعي فبدا على ما يرام .

سألته وهي تراه يضع الهاتف الذي كان

يستعمله : ((هل عليك أن

تبقى واقفاً ؟)) .

فأجاب متجاهلاً سؤالها : ((إننا ذاهبان إلى

بيتنا)) .

نظرت هيلاري إلى الطبيب بفرع تلتمس

العون منه : ((دكتور

ليزدر ؟)) .

فقال الطبيب بابتسامة فاترة : ((لا أرى

سبباً يجعل زوجك يبقى في

المستشفى)) .

وقال راوول بثقة تامة : ((المشكلة الأخرى

ستتلاشى)) .

إننا ذاهبان إلى بيتنا؟ يا إلهي! أين هو البيت
؟

تبعته هيلاري راوول إلى المصعد .

سألها بجفاف : ((أين كنت عندما تعرضت

للحادثة أمس؟)) .

. في لندن . . . حيث . . . لدي عمل هناك

.

تكلمت بنبرة خافتة وهي تتساءل بفرع عما

عليها أن تفعله أو

تقوله بعد هذا إذ لم تخطط لما عليها أن تفعله

.

كانت الليموزين تقف أمام المستشفى ،

فصعدت إلى المقعد

الخلفي حيث غاصت في الجلد الوثير .

سألها برقة : ((منذ متى تزوجنا ؟)) .

تنفست بعمق وقالت من دون أن تنظر إليه :

((من الأفضل ألا

أدفعك لتفهم الحقائق . . .)) .

فمد يده ليمسك بيدها : ((أريد أن أعرف

كل شيء . . .)) .

أجفلت للسهولة التي لمسها بها , ولم تستطع

أن تمنع أصابعها

من الارتجاف : ((قال الدكتور إن إطلاعك

على أمور لست بحاجة

لأن تعرفها سيزيد الأمور تعقيداً . .)) .

فقال من دون تردد : ((دعيني أقرر ذلك

بنفسي)) .

. أظن أن الدكتور يعرف مصلحتك جيداً ,

ولا أريد أن أجازف .

. كلام فارغ .

فقلت له مواسية : ((بعد بضعة أيام

ستذكر كل ما مضى , وهذا

أفضل بكثير)) .

وفي لهفتها لإقناعه بأن الصبر أفضل ,

تجرات أخيراً على أن

ترفع بصرها إليه وقد جف فمها و أخذ قلبها

يخفق بشدة .

. في هذه المدة القصيرة ؟

دغدغت أعصابها لكنته اللذيذة , كما سرت

الكهرباء في نظراته

المقيمة , وتعطل ذهنها .

وكررت كلامه كالبيغاء : ((في هذه المدة

القصيرة ؟)) .

قال بضحكة خافتة : ((نحن . ما الذي علي

أن أفعله مع زوجة

نسيتها ؟)) .

احمر وجهها وأخذت تحرق إليه بعينين بلون

سواء الشتاء .

قالت متلعثمة وهي تجاهد لتكبح الحرج

الذي تملكها لقربه منها :

((ليس عليك أن تفعل شيئاً . عليك فقط

أن تثق برعيتها لك)) .

لماذا تتلقف كل كلمة يلفظها كتلميذة

هجرها حبيبها , فاغرة فمها

كجمهور مفتون ؟ غاظها ضعفها هذا . إن

دورها يقضي بأن تكون

صديقة تساعده ليس إلا لكن البهجة التي

تملكتها لانفرادها براوول

سلبت عقلها كما يبدو .

. رعايتها لي ؟

وتأملها من تحت أهدابه . هل تخطط لرعايته

؟ لم يسمع في حياته

قط كلاماً أكثر سخافة وسذاجة . إلا أنه لم

يعلق وهو يرى الإخلاص

و النوايا الطيبة تنطبع على وجهها .

. هذا سبب وجودي هنا . . .

وسكنت لا تجد القدرة على المتابعة , فقربه

منها , والثقة العفوية

التي لمستها منه , أدارا رأسها .

و فيما هي تتكلم , رفع يده يلامس شفثها

السفلى الممتلئة الناعمة

الوردية , فلم ينفع ذلك في تبريد حرارتها . في

الواقع , راحت تميل

نحوه لتزداد اقتراباً منه بدون وعي منها .

تمتم بصوت أبح : ((أنت ترتجفين . و لكن

لماذا لا ؟ فهذا وضع

مثير)) .

همست مقتنعة بأنها لم تسمعه جيداً : ((ماذا

قلت . . ؟)) .

فقال ناظراً إليها بعينين لامعتين : ((زوجة

نسيتها . امرأة لا بد أني

شاركتها الفراش مرات عديدة , لكنها تبدو

لي في هذه اللحظة غريبة

تماماً عني . إنها علاقة غرامية سرية , يا

عزيزتي . كيف يمكن أن

تكون خلاف ذلك ؟) .

* * *

نهاية الفصل ((الثاني)) . . .

.....

.....

.....

.....

.....
.....
3.

أتذكر أسمى ؟

سال عرق على عنق هيلاري , علاقة غرامية
سرية ؟ و تلمت في
جلستها , (امرأة لا بد أنه شاركها الفراش
مرات كثيرة ؟) . من

الطبيعي أن يفترض هذا , إذ لن يخطر في باله

أن زواجهما ليس

طبيعياً . تمت بارتباك , محاولة ألا تفضح

عدم ارتياحها : ((إنك

تنظر إلى الأمور بشكل غير مألوف)) .

. إن وجهك يحمر خجلاً كفتاة مراهقة .

قالت بحدة لشكه في سبب احمرار وجهها :

((معك فقط)) .

أثناء المراهقة , جعلتها سرعة احمرار وجهها

إذا ما تعرضت

للإحراج , عرضة لكثير من الإحراج في

المدرسة . قال وهو يحتضنها

بذراعيه : ((لا يمكن أن نكون قد تزوجنا

مدة طويلة)) .

فصرخت : ((لا تفعل !)) .

ارتسمت على وجهه الوسيم ابتسامة عريضة

. فرغم أنها ليست

أكبر حجماً من الدمية بكثير , إلا أن

شخصيتها ديكتاتورية مستبدة .

. لا تخافي , لا أظن أن تقبيل زوجتي سيعيدني

إلى المستشفى .

سألته وهي ترتجف , مرجعة رأسها إلى الوراء

. . رغم رغبتها في

أن تلقي بنفسها عليه : ((وما أدراك ؟ ربما

ينبغي عليك ألا تعانقني)) .

قال مداعباً وهو يرى القلق في عيني زوجته :

((هذه ليست

مشكلة)) .

وزاد من شعوره بالتسلية رؤيته لخوفها على

صحته , فيما تابع

يقول : ((اعتبري هذا اختباراً مفيداً لعله

يعيد لي ذاكرتي , يا

راوول . . .

لكن اللهفة راحت تزداد في داخلها بسرعة

خبيثة . لم تشأ أن

تمنعه . كما لم تجد لديها ما يكفي من الإرادة

لتمنعه . كانت متلهفة

لتجربة ما حرمت منه .

تغلغلت أصابعه في شعرها , و أرجع رأسها

إلى الخلف ليتحكم

في عناقها . مالت إلى الخلف بين ذراعيه

القويتين , وتسارع نبضها ,

وكاد جسدها يحترق .

وفجأة تركها راوول متمتماً : ((لقد وصلنا

إلى البيت)) .

أحنت رأسها وقد انقطعت أنفاسها ,

وحاولت أن تتحكم في

نفسها بعد أن تملكها الأُم خيبة أملها .

وشعرت بالخجل من نفسها

تشجيعها له , وتساءلت إن كان بإمكانها أن

تنظر إلى وجهه مجدداً .

ما الذي فعله ؟ لقد تقبلها من دون إثبات

لمجرد أنه وثق بكلامها .

ولتستحق هذه الثقة عليها أن تبقى بعيدة

عنه . وعندما فتح السائق

الباب بجانبها ترجلت من السيارة بسرعة , ثم

أخذت تنظر حولها .

البيت ؟ يبدو أن راوول يعيش في منزل فخم
أشبه بالقصر ، في
مكان معزول تحيك به أسوار عالية . رأت
خادماً في منتصف العمر
يقف بجانب مدخل فخم ، وردة فسيحة
تزينها تماثيل أثرية ، وأثاث
ذهبي وأرض رخامية . تملكها الرهبة إزاء
هذه الفخامة وترنحت
خطواتها .
يا إلهي . . .

هتاف راوول الخشن هذا جعل هيلاري

تستدير على عقبيها . رآته

يحدق في لوحة فوق مدفأة رخامية جميلة

فأدركت ما جرى بسرعة .

ثمّة ما أدهش راوول . . . شيئاً بدا له مختلفاً

أو على الأقل مغايراً

لما توقعه . وبما أنه ليس لديه فكرة عن

التغيير الذي حصل , فلا بد

أنه سيشعر بالتشويش .

وعندما رأت الخادم يرمقه خفية , سارعت

إليه تمسك بذراعه

هامسة : ((دعنا نصعد إلى الطابق العلوي

((.

وفيما هو يتساءل عن السبب الذي وجعل

إحدى لوحات جده

المفضلة تنتقل إلى بيته في المدينة , إذا به

يستجيب لتلك الدعوة

الأنثوية الخافتة كما يف أي رجل . وسرعان

ما نسي لغز اللوحة

بعد أن أجفل لرغبته في أن يرفع زوجته

الصغيرة بين ذراعيه .

اعتاد أن يتصرف على هذا النحو وشعر

بصدمة قوية وهو يدرك

أن ليس لديه فكرة .

. لقد تذكرت أمراً لتوي . اصعد أنت أمامي

...

تركت ذراعه حين وصلا إلى فسحة السلم ,

وعادت إلى الخادم

قبل أن يتوارى عن الأنظار . قالت بضيق :

((أنا واثقة من أنك

تتساءل عمن أكون . ما اسمك ؟)) .

. اسمي أمبرتو يا سيدتي . إنني أدير المنزل و

أنت ضيفة السيد

ساباتينو .

قالت بنبرة خافتة : ((في الحقيقة أنا لست

ضيفة بل . . أنا . .

زوجة راوول . . هيلاري)) .

ورغم تهذيب أمبرتو ، إلا أنه لم يستطع إخفاء

دهشته ، بينما

تابعت هي تقول : ((أرجو أن تحرص على

عدم تحويل أي مكالمة

هاتفية ، سواء أكانت معنية أو شخصية إلى

زوجي)) .

تصلب جسم أمبرتو ، وانفجرت شفتاه بقلق

، فأضافت : ((لا

تتجاهل تعليماتي)) .

عندما انضمت إلى راوول , نظر إليها مقيماً

, ثم انحنى وحملها

بين ذراعيه .

فوجئت بتصرفه هذا فهتفت : ((راوول . .

ما الذي تفعله ؟)) .

أطلق ضحكة رنانة وهو يسير بها نحو باب

غرفته الذي دفعه

بكتفه : ((هل كنت تعطين أمبرتو التعليمات

لعشاء الليلة . . أم طلبت

منه عدم إزعاجنا ؟)) .

. أنزلي على الأرض . . أجروك . يفترض بك

أن ترتاح الآن ,

يا راوول .

أنزلها على السرير الفسيح بعناية مبالغ فيها ,

وهو يقول : ((أنوي

فعلاً القيام بذلك . . ولكن يجب أن تكون

معي رفيقة أرتاح معها)) .

انقلبت هيلاري على الفراش ثم قفزت عنه

من الجانب الآخر :

((لن يكون هذا مريحاً)) .

أخذ يحل ربطة عنقه , ثم ألقى بها بعيداً و هو

ينظر إليها بعينين

لامعتين قائلاً بتحدٍ : ((لست بحاجة لأن

أتذكر السنوات الخمس

الماضية لأعلم أنني لا أحب الراحة أو

التسكع بكسل في الأتحاء)) .

فقلت محبوسة الأنفاس : ((أنت تظن أنك

تريد أن تشاطرنى

الفراش . الحقيقة , أنت لا تريد . . .)) .

فقال ساخراً : ((لا أصدق أنني تزوجت

امرأة تحلل هذه المسائل

بالمنطق)) .

. إنني أحاول أن أفكر فيك , وهذا كل ما

في الأمر . هذا ليس

ما تحتاجه حالياً .

. دعيني أقرر هذا بنفسني .

وفجأة , جمد مكانه , وحول عينيه عنها فيما

بدا متوتراً .

فسألته : ((ما الأمر ؟)) .

عاد ينظر إليها و الكآبة و المرارة غي عينيه :

((جدي كليمنت . لقد

مات . . وهذا هو سبب وجود لوحة))

ماتيس)) في منزلنا لدلاً من أن

تكون في مكانها في قصر ((كاستيلو)) . هل

كلامي صحيح ؟ ((.

شحب وجه هيلاري , فأردف ببرودة الثلج

: ((في حالة كهذه ,

ليك ألا تكتمي عني المعلومات)) .

أومات برأسها وقد اغرورقت عيناها بدموع

العطف : ((نعم .

أسفة . لقد مات جدك منذ أربع سنوات ((

.

. وكيف مات ؟

قالت راجية ألا يسألها عن التفاصيل : ((

بنوبة قلبية , أعتقد أنها

كانت مفاجئة ((.

سار إلى النافذة و قد تصلبت كتفاه توتراً .

شعرت بأنه يريد أن

يبتعد عنها . لقد نبذها من حضوره , وكانت

واثقة من ذلك كما لو أنه

صفق الباب في وجهها .

تمتت وقد فاضت مشاعرها التي كبحتها

خوفاً من أن يجرحها :

((راوول . . . ؟)) .

فأجابها بجفاء : ((اذهبي وتفقدني قائمة

العشاء)) .

لمعت عيناها المضطربتان و قالت : ((لا

يهمني هذا . تبعدي

عنك . أنا أيضاً أحببت جدتي كثيراً , وكاد

موتها يدمرني))

فأجابها بعنف : ((واحد منا لا يجب عرض

مشاعره الخاصة)) .

. كما تشاء كما تشاء !

وبوجه شاحب متوتر يعكس خيبة الأمل

لرفضه مواساتها له ,

استدارت على عقبيها وغادرت الغرفة .

وجدت أمبرتو في الممر برفقته رجل آخر

يحمل حقيبة ملابسها ،

فتوقفت هيلاري .

. سنيورا .

وبإيماءة خفيفة من رأس ، فتح الخادم باب

الغرفة التالية وتنحى

جانباً لتتمكن من الدخول أولاً . إنها غرفة

نوما ! أخذت هيلاري

تطرف بعينيها و هي ترى روعة الأثاث

والمساحة الشاسعة . يبدو من

غير المناسب أن يتشارك الزوجان الثريان

غرفة واحدة . يا إلهي . . .

سيكون هذا مربكاً .

وعندما لمحت صورتها في المرآة رأيت أن عينيها

ما زالتا تلمعان

وكأن دموعها تهدد بالانهمار ! كيف يمكن

لكلمة فظة من راوول أن

تحوها إلى امرأة لا تنفك تبكي ؟

لماذا تذكرت أن راوول تصرف معها برقة

أكبر عندما أفضت إليه

و أرغمت نفسها على التركيز وهي تتبع
أمبرتو إلى خارج الغرفة
مبتسمة بمودة : ((أحب أن أقوم بجولة
سريعة في المنزل)) .
كانت تعلم أن هذا ضروري إ ليس بإمكانها
أن تدعي أنا تعيش
تحت سقف واحد مع راوول إذا لم تكن
تعرف طريقها في أنحاءه .
وبالرغم من ذلك , بدأ خداعها هذا يثير
أعصابا . لا بد أن

راوول سيستعيد ذاكرته خلال أيام وعندئذ

لن يعود في حاجة إليها .

أتراه سيقدر لها محاولتها أن تساعدته ؟ في

الواقع , لم تلعب سوى

دور الرفيقة الحسنة المعشر ؟

كان أمبرتو دقيقاً للغاية و هو يجول بها في

الأنحاء و كانت

هيلاري تدفع بسرعة من غرفة إلى أخرى ,

مذهولة لحجم المنزل .

أثبت همتها الأثاث المحافظ الرسمي رغم أ

اللوحات الفنية أسبغت

سحراً على المكان . وفي المطبخ , تعرفت إلى

الطاهي لكنها صعقت

حين علمت أن الطعام نفسه يقدم في كل

مناسبة .

وإذ توقع الطاهي الفرنسي أن تمنحه مزيداً

من الحرية , تقدم منها

و قبل يدها ثم أسرع إلى الحديقة حيث قطف

زهرة صفراء عطرة وعاد

بها إليها . وضعتها هيلاري في شعرها

ضاحكة ثم صعدت إلى الطابق

الأعلى لتستعد للعشاء .

كانت محتويات حقيبتها القليلة قد أخرجت

وعُلقَت في غرفة

الملابس . استحمت والتفت بمنشفة كبيرة ثم

عادت إلى غرفة النوم

حافية وهي تبسم لهذه الرفاهية التي لم

تعودها .

كان راوول في انتظارها في الغرفة , فوقفت

محفلة واتجه بصرها

إلى الباب المفتوح بين الغرفتين .

. يا إلهي . . . يا لها من زهر جميلة !

فرفعت يدها بخجل إلى الزهرة : ((لقد

قدمها لي طاهيك . . .)) .

كان راوول قد استبدل بذلة العمل ببيزة من

الكتان الفاخر فبدا

غاية في الوسامة ما جعلها عاجزة عن تحويل

نظرها عنه .

قطب راوول حاجبيه إذ لم تعجبه وقاحة

طاهيه . ومع ذلك , رأى

ما أوحى إليه بهذه اللفتة . كانت بشرة زوجته

رائعة وعيناها زرقاوين

كبحيرة شمالي متجمدة وفمها مثيراً كثمرة

الكرز . أتراه يشعر في كل

مرة بأنه يريدّها مرة أخرى ؟ أتراه يشعر دوماً

بالرغبة في تملك الجيد

الأنثوي المثير ؟

وعندما التقت نظراتها بنظراته المشتعلة ،

شعرت بأنها تتجاوب مع

رجولته المدمرة وسرت السخونة في أنحاء

جسمها وارتجفت

ساقاها . لم تستطع أن تتحرك ، حتى أنها لم

تجد ما تقوله .

وتكهرب الجو فيما قال بصوت خافت : ((

أريدك ، يا حبيبي)) .

أثار هذا الاعتراف البهجة و الألم معاً في

كيانها .

ذات يوم , كانت تحلم بهذه اللحظة السحرية

, حين يتخلى راوول

عن تحفظه ويرى أنها مغرية . وما ظنت يوماً

أن حلمها سيتحقق لكن

هاهو راوول يقول إنه يريد لها .

وذكرت فسها بألم بأن راوول لا يريد لها حقاً

. إنه يعبر فقط عن

رغبة طبيعية في امرأة هي في الحقيقة وهم .

المرأة التي يعتقد أنه

تزوجها بشكل طبيعي و التي يعتقد أن
بإمكانه أن يثق بها . ولكنها
ليست تلك الزوجة بل هي مجرد امرأة دفع
لها ذات يوم أجراً لتلعب
دور عروسه , امرأة لا يهتم بها شخصياً .
كما أنها أنى منه مستوى
على الصعيدين الاجتماعي و المهني .
قطب راوول وهو يرى التعاسة و اليأس
يعلوان ملامحها ومد يديه
إليها وهو يقول : ((هيلاري . . . ؟)) .

فقلت بصوت خاف : ((لا علاقة من هذا

النوع بيننا)) .

تجاهل محاولتها التملص منه , وأمسك

بمعصمها :)) لا

أفهم . . .)) .

خنقتها الدموع . تبين لها أن ما اعتقدت أنه

الصواب أصعب ما

فعلت في حياتها . وأجابت : ((اسمع . . .

هذا ليس بالأمر الهام , وما

من داعي للقلق . اعلم فقط أني لست
بالأمر الهام في حياتك .
وعندما تستعيد ذاكرتك ستتذكر ذلك و
ستكون مسروراً لأنني جعلتك
تتوخى الحذر)) .

جمد راوول مكانه ونظر إليها بعينين لامعتين
متسائلاً بارتياح :

((ما الذي فعلته كي أعاملك بمثل هذه
الطريقة ؟)) .

يبدو أن راوول نسي قوته , فقبضته العنيفة

كادت تحطم معصمها

ما جعلها تشهق بضيق : ((إنك تؤلمني)) .
ترك يدها على الفور , مسارعاً للاعتذار لكن

كلماته التالية

أوضحت أنه لا ينوي تجاهل الموضوع الذي

كانا يناقشانه .

. أوضحي لي ماذا عنيت بقولك إنك)

لست بالأمر الهام في

حياتي) .

فقلت بضعف : ((كل ما عنيته هو أنك

مشغول دوماً بحيث لا

تلاحظ وجودي بقربك)) .

. إذا كنت غير مخلصه فلا تخفي الأمر .

احزمي أمتعك فقط

و اخرجي من حياتي مرة أخرى .

ماذا فعلت ؟ فبدلاً من أن تدفع راوول

لالتزام الهدوء , ها هي

تجعله أكثر توتراً و قلقاً . وهتفت بدعر :))

لا تكن سخيلاً . . لا علاقة

للأمر بالإِخْلاص)) .

قال ساخرًا وبعنف بالغ : ((اعتاد رجال

أسرتنا الزواج من نساء

طائشات , لكننا نسارع إلى طلب الطلاق))

.

. سأعتبر هذا إنذاراً لي .

وحاولت عبثاً أن تبسم بمرح قبل أن تدخل

الحمام . تملكته

الحيرة وهو يعود بذهنه إلى الوراء ليتذكر : ()

لا علاقة من هذا النوع

(بيننا) . (أنا لست بالأمر الهام في حياتك)

(إنك مشغول دوماً بحيث

لا تلاحظ وجودي معك) .

أي نوع من الزواج هذا الذي يجمعهما

ينامان في غرفتين

منفصلتين , فهل هذا الخيار خياره هو ؟ لقد

لحقت إلى أن علاقتهما

كانت كما أرادها هو . وثار غضبه لهذا

الاستنتاج فهو يكره الفشل .

كان غريزته تشير إلى أن زواجه يعاني من

المشاكل . وقد عكست

زوجته صورة عن نفسه تظهره مدمناً على

العمل , نادراً ما يتقرب

منها . ماذا يمكنه أن يظن غير ذلك و هو

يتذكر تجاوبها معه في

السيارة , وقد بدت عليها الصدمة والدهشة

في البداية ثم ما لبث أن

تبعهما اللهفة و التشجيع ؟

لا بد أ إصلاح أي خطأ في علاقتهما ممكن !

ارتدت هيلاري تنورة سوداء قصيرة و بلوزة

خضراء . وبعد أن

نظرت إلى الساعة , اتصلت بأختها .

سألتها إيما بلهفة : ((كنت أفكر فيك طوال

النهار , كيف حال

زوجك ؟)) .

. إنه بخير , لكن الإصابة في رأسه ما زالت

تسبب له بعض

المشاكل . لم يعد هو نفسه تماماً .

. ما معنى هذا ؟

. معناه أن بإمكانني , حالياً , أن أكون مفيدة

. . كصديق فقط .

منذ أربع سنوات , لم تطلع أختها على حقيقة

زواجها الصوري

هذا , خوفاً من أن تخسر احترامها لها

وللزواج أيضاً . ما بدا لها

حينذاك , مجرد كذبة بيضاء لا ضرر فيها ,

بدا الآن خدعة خبيثة

يصعب الصفح عنها . عندما تتحسن حالة

راوول , ستطلع هيلاري

إيما على القصة كاملة . فهي لا تستطيع أن

تترك الفتاة الصغيرة تعتقد

أنها السبب في فشل زواج أختها الكبرى .

. ما مشكلته بالضبط ؟

تنفست هيلاري بعمق , ثم شرحت لها الأمر

باختصار , فهتفت

إيما : ((أتعلمين ماذا يعني هذا , سيتمنحكما

هذا فرصة لبداية

جديدة !)) .

. لا مجال لأي شيء من هذا , أريد فقط أن

أساعده حتى

يشفى . . وهذا كل ما في الأمر .

عندما هبطت السلم , أشار أمبرتو إلى غرفة

الطعام المضاءة

بالشموع حيث يتألق الكريستال و الأطباق

الصينية و الأدوات الفضية .

و كانت أزهار السوسن تزين المائدة .

وعندما دخل راوول كانت هيلاري تقول

للرجل المسن : ((ما

أجمل كل هذا)) .

كاد راوول يتأوه حين رأى المائدة الرائعة

الزينة . ما المناسبة ؟

أهو عيد ميلادها أم عيد زواجهما ؟

وسأل : ((هل نحتفل بشيء ما ؟)) .

احمر وجه هيلاري ورفعت كأسها بيد متوترة

: ((أظننا نحتفل

بمخرجك من المستشفى)) .

. لدي موضوع حيادي . أخبريني عن أسرتك

لم تجد مانعاً من أن تتحدث في هذا الموضوع

: ((ليس ثمة ما

يستوجب الحديث عنه)) .

. والداك ؟

كرر سؤاله يريد معلومات عن خلفيتها ,

فقلت : ((لقد توفيا . قتلا

في حادث سيارة عندما كن في السادسة

عشرة . وكانت أختي إيما

في الحادية عشرة)) .

فقطب وسأل : ((ومن كان مسؤولاً عنكما

؟)) .

لم تشأ أن ترهق مشاعره بحقيقة حياتهما

التعيسة فأجابت : ((عشنا

مع ابنة عم أبي . وإيما الآن في المدرسة

الداخلية)) .

. هنا ف سويسرا ؟

جمدت مكانها : ((لا بل في إنكلترا)) .

. أليس لديكما أقارب آخرون ؟

. كلا . لقد ربّني جدتي وهي إيطالية . عندما

كنت طفلة عاشت

معنا .

فقال يلومها باللغة نفسها : ((مع ذلك أنت

لا تتحدثين معي

بالإيطالية ؟)) .

أجفّلت , ثم قالت : ((هذا غير ممكن . فأنا

أفهم الإيطالية أكثر

مما أجد التحدث فيها . . . ((.

فقال من دون تردد : ((لكن يُفترض بهذا أن

يكون قد تغير)) .

فتابعت تجيبه بالإنكليزية وقد بان العناد في

ملاحظتها : ((لا , إذ

ضحكت مرة حتى كاد يغشى عليك من لغتي

الإيطالية لأن بعض

الكلمات التي أستعملها كانت قديمة الطراز

((.

. كنت أغيظك , يا عزيزتي .

غامت ملاحظتها . لا , لم يكن يمازحها ,

فقد كان متضائماً

لمعرفتها باللغة الإيطالية بما يكفي لتفهم ما

اعتبره حديثاً سرياً .

وعادت تقول : ((لقد تجادلنا قليلاً لكنني

لا أريد أن أتحدث في

هذا الموضوع)) .

قررت أنه من الفضل أن تبقى صامتة بدلاً

من أن غامر وتعطيه

انطباعاً سيئاً , فركزت على طعامها اللذيذ .

وبعد العشاء رفضت

القهوة و أعلنت أنها ستذهب إلى الفراش

باكراً لأنها متعبة .

قال برقة : ((لم بلغ الساعة الثامنة بعد)) .

فقال بجفاء وهي تقف : ((أنا لا أسهر

حتى وقت متأخر)) .

نفض راوول بدوره , وعندما مرت بقربه

أمسك بيدها : ((ثمة

سؤال واحد عليك أن تجيب عنه)) .

. لا . لا .

نظر في عينيها بحدة , فهو لا يطيق الرفض :

((فكرة من هي أن

نستعمل غرفتين منفصلتين ؟)) .

فجف فمها وقالت مدركة أنه الجواب الوحيد

المناسب : ((فكرتك

أنت . .)) .

بدت على فمه الجميل ابتسامة ساخرة ,

فأخذ قلبها يخفق تجاوباً

أشبه بعصفور علق في الفخ . وترك يدها

فعدت تكمل سيرها بساقين

واهنتين , وهي تتمم : ((تصبح على خير

((.

بعد عشر دقائق , وبعد أن غسلت أسنانها ,

ونظفت وجهها من

زينه , أطفأت مصباح غرفتها ثم قفزت إلى

سريرها المريح وهي

تتنهد باستحسان . لكن الإثارة بقيت أقوى

من أن تسمح لها بالنوم ,

فعدت بها أفكارها المضطربة إلى الماضي و

إلى بداية معرفتها .

لقد وقع في غرام رجل لم يخرج معها قط في

موعد غرامي .

عاد إلى الصالون بع شهر تقريباً . فلاحظ

الموظفون الآخرون هذا ,

و أصرت أقدم العاملات على أن تأخذ

مكان هيلاري . وتملكتها

الدهشة و السرور عندما اعترض راوول على

هذا التغيير وطلبها

شخصياً . سألته هيلاري : ((هل تذكرت

اسمي ؟)) .

. لقد وصفتك لهم .

. كيف ؟

. هل تكثرين الكلام دوماً ؟

. إذا أخبرتني كيف وصفتني فسأخرس .

. صغيرة الجسم , ذات شفتين قرمزيتين ,

وتنتعل حذاء عالي

الساقين .

لم تُسر بها الوصف لكن بعد خمس دقائق

نسيت وعدّها بأن

تُخرس , وسرعان ما وجدت نفسها تسأله عن

عمره وعمّا إذا كان

متزوجاً أن لا , وفي الزيارات التي تلت لم

يكن يثرثر معها , لكنه

أصبح يسمح لها بأن تثرثر معه . وسألته عن
نوع عمله , فأجاب : ((أنا
أعمل في مصرف)) .
وبعد حين , قرأت اسم ((ساباتينو)) صدفة
في مقال في قسم
الأعمال من الصحيفة , فتبين لها أن راوول
لا يعمل في مصرف بل
هو نفسه صاحب مصرف .
ويوم سمعته يذكر وصية جده واحتمال
خسارته لمنزل الأسرة

الذي بدا أنه يعشقه , تدخلت في الموضوع

لتعرض عليه أن تلعب

دور زوجته . ترك المكالمة الهاتفية و أخذ

ينظر إليها غير مصدق ,

فتابعت وقد التهب وجهها لهذا الاقتراح : ((

حسناً , ما المانع ؟)) .

كانت متلهفة لأن تنتهز الفرصة , فتساعده

بحيث يلاحظ وجودها

أو حتى يشعر نحوها بنوع من المودة .

. يمكنني أن أفكر في ألف مانع و مانع .

. أنت تعقد الأمور لأنك رجل حذر

للغاية . لكن مشكلتك

بسيطة , فأنت بحاجة إلى زوجة مزيفة

لتحصل على بيتك و أنا مستعدة

لأن أساعدك . . .

. أرفض مناقشة هذا الأمر معك , فقد

استرقت السمع إلى

حديثي .

. ربما عليك أن تطلب من أحد أصدقائك أن

يساعدك و تخفف

من كبريائك هذه .

. أين تعلمت أن تتحدثي الإيطالية الثقيلة

هذه ؟

قالت له غاضبة : ((ما الخطأ في لغتي

الإيطالية ؟)) .

راح راوول يضحك : ((أنت تستعملين

تعاير قديمة

وكلمات . . .)) .

فقلت وهي تغلي غضباً : ((أنت فظ للغاية
أحياناً)) .

. لقد قاطعت حديثاً سرياً لتعرضي علي

مشروعاً مشيناً . . . فماذا

تتوقعين ؟

. كنت أعرض عليك مساعدة . .

. لماذا ؟ إننا غريبان عن بعضانا البعض .

كانت طعنة في الصميم , فأحنت رأسها

وهزت كتفيها : ((آسفة

لأنني تكلمت . . .)) .

. التجهم غير جذاب .

رفعت رأسها بسرعة مذهلة : ((و ما الذي

تجده جذاباً في ؟)) .

فأجاب بجفاء : ((لا شيء)) .

. هيا . . أنت لا عني هذا . . لا بد أنك

تجد في شيئاً معقولاً .

نظرت إليه في المرأة فوجدته يتسم تلك

الابتسامة النادرة التي

تجعل راحتها تعرقان وقلبها بخفق . لكنه لم

يقتنع . وبعد ثلاثة

أسابيع اتصل بها وطلب منها أن تتناول

الغداء معه في الفندق , قائلاً

إن الموعد يتعلق بعمل .

عندما عدد راوول شروط زواج المصلحة

الذي اقترحه في

البداية , بدا كرجل أعمال رائع . لكنه قضى

على شهيتها فلم تأكل

شيئاً . قال إنه سيدفع لها مكافأة لقاء الخدمة

التي ستقدمها له ,

فرفضت . لم تشأ أن تأخذ أجراً وكانت تعني

ذلك . عندئذ , ذكر

مبلغاً من المال قطع أنفاسها .

. فكري في هذا ملياً , و سناقشه عندما

نجتمع فيما بعد . .

. اسمع . لو أردت مالاً لما عرضت عليك ما

أفعله به . ليس من

الصواب أن آخذ نقوداً أجراً للزواج ؟ أعني

أن كل ما تريده هو أن

تحصل على البيت الذي كان ملكاً لأسترك

لمئات السنين , ولن أقبل

بأجر لقاء هذا .

نظر راوول إليها مقيماً فترة طويلة : ((لا

أرغب في التدخل في

أمورك الشخصية , لكنك تعيشين عند خط

الفقر ولا أمل كبير لديك

في تغيير أحوالك . . .)) .

. أنها مسألة وجهة نظر . .

. مساعدة مالية ستمنحك خيارات لم تكن

متاحة لك من قبل .

يمكنك أن تعودني إلى المدرسة . . .

فنظرت إليه بذعر : ((لا . شكراً ! المرة

الأولى كانت سيئة بما

يكفي . كما أنني أعشق مهنتي)) .

أكمل راوول كلامه وكأنها لم تتكلم : ((

عليك أن تكملني تعليمك ,

أن تكوني طموحة)) .

فسألته بأمل مفاجئ : ((هل ستخرج معي

إذا ذهب إلى الكلية ؟

لا أظنك ستنتظر هذا الوقت كله .

. لا تكوني وقحة بهذا الشكل . كنت أقدم

لك بعض النصائح .

. وتغريني بنقودك .

وقد نجح في إغرائها . ففي الأيام التي تلت ،

خطر لها أن

بإمكانها أن تغير حياتها وحياة أختها بقسم

بسيط من المبلغ الذي

ذكره . إذا استأجرت شقة في منطقة أفضل

فستتمكن من أن تفصل

أختها عن المجموعة التي تعاشرها . لو اشترت

لنفسها صالوناً

صغيراً , فستتمكن من أن تختار ساعات

عملها وتمضي مزيداً من

الوقت مع إيما في البيت . في النهاية ,

وافقت على قبول جزري من

المبلغ الذي أراد أن يمنحها إياه . فقد أغرقتها

فكرة ما يمكن أن تفعله

بهذه النقود , ولم تشعر كم فقدته من

احترام راوول إلا بعد أن

أخذت الشيك منه .

كتمت الآهة التي تصاعدت من أعماقها

على الماضي الذي لا

يمكن تغييره , وعادت بذهنها إلى الحاضر بعد

أن قاطع أفكارها صوت

الباب وهو يفتح . وبعد ثوانٍ , غمر الضوء
الغرفة . أجفلت و أخذت
تطرف بعينها بعنف وهي تنظر إلى راوول ,
محاولة أن تفكر بوضوح .
و فجأة , أمسكت يد متسلطة بأغطية
السريـر و ألقـتها بعيداً فأطلقت
صرخة امتزج فيها الذهول و الشعور
بالإهانة , فيما انحنى وحملها
وكأنها طرد عاد يسترجعه .
صرخت : ((ما الذي تفعله ؟)) .

قال و هو يعدو إلى غرفته حاملاً إياها بين

ذراعيه القويتين :

((من الآن فصاعداً سنتشارك الغرفة نفسها

يا عزيزتي)) .

فأجابت متممة : ((لا أظنها فكرة جيدة

((.

* * *

نهاية الفصل ((الثالث)) . . .

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.4

تلك المرأة !

وضع راوول هيلاري على سريريه وقد توهج
وجهها احمراراً .

كانت هيلاري تعشق ارتداء القمصان البالغة
الأنوثة إذ تشعرها بأنها

رائعة الجمال . لكن أحداً لم يرها في هذه
الملابس المثيرة . لذا ،

انتصبت جالسة في السرير ، محاولة بلهفة أن
تجذب الملاءة لتغطي
بها ساقيها .

فتح أزرار قميصه و انحنى ليخلع حذاءه فيما

حبست أنفاسها

وحاولت أن تحول نظراتها عنه فلم تستطع .

إنها لم تنفد قط برجل

في غرفة نومها .

إنها لا تزال عذراء , فراوول هو أول رجل

عرفته وتزوجته , وهذا

علمها أن تبتغي ما لا تستطيع أن تحصل

عليه .

قد لا تكون مشاعر راوول مماثلة لمشاعرها

, لكنها لم تنسى

البهجة التي تملكها حين تجاوبت معه .

كل من عرفته بعده كانت تقارنه به . كانت

تحاول أن تشعر مرة

أخرى بما شعرت به مع راوول , ما جعلها

صعبة الاختيار .

. سأدخل الحمام , يا جميلتي . . .

احمر وجهها وحولت انتباهها عن عضلات

صدره السمراء القوية

البارزة من قميصه المفتوح , وتمتت تقول :

((لا تنادني بهذه الصفة ,

فأنا لست جميلة)) .

جلس على السرير ونظر إليها ضاحكاً : ((

إذا قلت إنك رائعة

الجمال فأنا أعني ذلك)) .

. ولكن . . .

. إن قوامك مذهل .

. أنا لست طويلة . .

. لكن قوامك خارق الجمال , لطالما ساورني

دافع لا يقاوم لأن

أحملك وأمددك على أقرب سرير .

وهب واقفاً بينما خاضت معركة ضارية مع

ضميرها , لتحول

بصرها المتلهف للتجسس على حركاته .

قالت ((يفرض بك أن

ترتاح الآن بينما أبقى أنا في غرفتي)) .

فقال ضاحكاً : ((نامي و كفي عن التذمر

((.

كان ضاحكاً مبتسماً . وبدا سعيداً بشكل

غير مألوف لها . تقلبت

على جنبها وهي تفكر في أن لا ضرر من

النوم في سرير واحد .

فالسريـر واسع , ومن الغباء أن تثير ضجة

بسبب هذا الأمر التافه .

لكن لنفرض أنه تقلب في منتصف الليل و

ثارت مشاعره . نعم . .

مجرد افتراض . . فهل ستمكن من مقاومته ؟

إنها تعلم أنها لا ترغب

في ذلك . واغرورقت عيناها بالدموع اشمئزازاً

من نفسها , فغالبتها

بغضب .

وحدثها صوت في داخلها بأنه سيستعيد

ذاكرته قريباً . وإذا ما

أقامت أي علاقة جسدية معه , فكيف

سيكون شعوره حيال هذا

الأمر ؟ إنه رجل عازب ذو خبرة , وإذا ما

تصرفت بشكل عفوي . . .

وضغطت بأصابعها الباردة على وجنتيها
محاولة أن تقتل أفكارها
هذه . كانت مدعورة من فكرة أنها تحاول
إقناع نفسها بأن تدع راوول
يفعل بها ما يشاء .

. أما زلت مستيقظة , يا حبيبي ؟
عند سماعها صوته العميق , رفعت رأسها
ونظرت إليه من تحت

الملاءة . كان قد لف حول وسطه منشفة

كبيرة , وقد تالأت قطرات

الماء على شعر جسده الأسمر المفتول

العضلات .

تأملها بهدوء فيما أومأت هي ببطء . جلس

بجانبيها على الفراش

فأخذ قلبها يخفق بعنف إلى حد جعلها خاف

من أن تصاب بنوبة

قلبية .

. راوول .

. تعجبني طريقتك في لفظ اسمي .

وانحنى إلى الأمام يحتضنها . و عندما تأوّهت

بصوت خافت وهي

ترفع يديها لتغرقهما في شعره الكث و قربه

منها , همس متأوهاً :

((لك أروع فم رأيتَه)) .

رفعت عينيها إلى ملامحه الوسيمة ورأسها

يدور و قالت : ((لا

يمكننا أن نفعل هذا . . هذا غير ممكن)) .

قال بصوت أثخنه المشاعر : ((سترين . . .

((

راح قلبها يخفق بعنف , فيما تملكها شعور

غريب امتزج فيه

الخبجل و الارتباك و البهجة .

. منذ وقعت عيناى عليك فى المستشفى و

أنا أفكر فى أن

أحملك إلى سريري . كان شعوراً ملحاً للغاية

. هل كان الأمر على

هذا الحال فى أول مرة رأيتك فيها ؟

فأجابت وهي تختبئ وجهها في كتفه : ((

إنك لم تقل هذا أبداً)) .

. أنا إذن لا أشاركك كل ما يخطر في بالي ؟

. كلا

أبعد وجهه عن وجهها لكي يراها جيداً , ثم

عاد يعانقها مرة

أخرى بقوة .

قال مسروراً : ((أنت حارة يا جميلتي)) .

كان جسمها متوتراً حساساً بشكل لم تعرفه

قط من قبل , كما لم

يتملكها قط مثل هذه الأحاسيس القوية .

فقدت قدرتها على التفكير

وراحت تشعر فقط .

قال لها مداعباً بصوت خافت وهو ينظر

إليها بعينين جائعتين :

((لا تكوني عجولاً . .)) .

شهقت هاتفة باسمه : ((راوول . . .)) .

أحاطت عنقه بذراعيها لئلا يتعد عنها .

كل قبلة كانت أروع مما حلمت به , وسرعان

ما تاهت في عالم

مظلم كان جديداً تماماً عليها .

مشاعرها الجارفة جعلتها تتلوى بارتباك

وخجل . كانت تشتعل

شوقاً و تنهدت : ((راوول . . . أرجوك))

.

وفي خضم هذه المشاعر المحمومة , أصبحت

عاجزة عن التحكم

في نفسها . جمد مكانه ونظر إليها مشككاً :

((هل ما زلت عذراء أم

أنني أتخيل ذلك؟؟)) .

كانت قد اعتادت كلامه الجريء . لطالما

حلمت بأن تكون

لراوول , ولا مجال للندم : ((لم أكن أعلم

أن مثل هذا الشعور

سيتملكني . . .)) .

فقال بلكنته الإيطالية المطاظة : ((زوجتي .

. . عذراء فعلاً)) .

أحاطته بذراعيها و قالت : ((أرجوك . . .

((.

ما إن قامت غريزياً بتشجيعه , حتى استسلم

للإغراء . واستسلمت

هي بعجز ووهن لما أثاره فيها من أحاسيس .

خطر لها أنها أوقعت نفسها في الشرك بعد أن

أصبحت علاقتها

براوول حميمة .

و في تلك اللحظة بالذات , أحاطها راوول

بذراعه وراح يتأمل

وجهها المتوهج بعينه البنيتين تحت أهداب
سوداء , ثم طبع قبلة على
جبينها و هو يقول : ((يا للزوجة العذراء
المذهلة ! . هل ما زلت
عروساً ؟)) .
شحب وجه هيلاري وأحنت رأسها . لا بد
أنه يتساءل عما إذا
كانا عروسين . ولو لم يكن ممسكاً بها ,
لاختبأت تحت السرير

ورفضت الخروج . كانت من الخجل من

نفسها بحيث لم تستطع أن

تنظر إليه أو حتى تفكر في سلوكها .

أتراها جنت تماماً ؟

. تبدين هادئة جداً .

فهمت : ((أنا متلهفة للاستحمام)) .

وقفزت من السرير .

كان الهرب هو المفرد الوحيد الذي فكرت فيه

. كان وجهها قد

احمر خجلاً , وحاولت أن تترك الغرفة بشكل

طبيعي فيما بدا راوول

مقطباً لا يفهم شيئاً . سأها غير مصدق : ((

ما الذي حدث لك ؟)) .

أرغمت نفسها على الابتسام وأجابت : ((

وما الذي يمكن أن

يحدث لي)) .

وعادت إلى غرفتها , وما إن اطمأنت إلى أنها

بعيدة عن الأنظار ,

حتى دخلت الحمام وأقفلت الباب خلفها .

ما الذي سيظنه راوول بها عندما يستعيد

ذاكرته ؟ وتملكها شعور

عنيف بالعار و الخزي . سيظنها امرأة

استغلالية استفادت من

الظروف . سيدرك أن المرأة المخبولة وحدها

تتشبث بالفرصة الوحيدة

التي تتاح لها لكي تقترب منه ؟ سيعلم أنها

وقعت في غرامه منذ أربع

سنوات تقريباً وأنها ما زالت تراه جذاباً للغاية

. لكنه سيراها هو مثيرة

للشفقة . وانكمشت من المذلة وماتت ألفة

مرة لهذه الفكرة .

في الغرفة المجاورة لغرفتها رن جرس الهاتف

الداخلي فرفع

راوول السماعة , وقال أمبرتو إن ثمة زائر قد

وصل .

تناول راوول ملابسه وهو يسأل : ((من هو

الزائر ؟)) .

تردد الرجل المسن لا يرغب في ذكر اسم

الزائر , لكنه أوحى بأن

الأمر يستوجب الكتمان البالغ .

انقبضت ملامح وجهه القوية لأن الاسم

الذي ذكره الخادم لم

يعن له شيئاً ما ملأه غضباً و إحباطاً .

سأله أمبرتو : ((أتراني أخطأت في السماح

لها بالدخول ؟)) .

شعر بالغيظ لضياعه الناتج عن فقدانه

لذاكرته , لكنه رفض أن

يتخذ من خادمه المسن موضعاً لثقتة . أراد
أن يعلم سبب اعتقاد
خادمه أنه أخطأ بإدخال المرأة الزائرة إلى بيته
, لكن كبرياءه الغاضبة
جعلته يسكت . دخل غرفة الاستقبال
الخلفية التي نادراً ما يستعملونها
و التي فتحها أمبرتو للزائرة , فتقدمت منه
سمراء رائعة الجمال ,
خضراء العينين , طويلة القامة وبالغة الأناقة
. ألقّت بنفسها بين ذراعيه

وهي تهتف : ((هل لديك فكرة عن مدى

قلقي ؟ عندما سمعت شائعة تقول

إنك تعرضت لحادث اصطدام , لم أستطع إلا

أن آتي إلى هنا)) .

أبعدها عنه وقد تملكه الارتباك لتحيتها

البالغة الإلفة هذه , وبدا

الحذر في نظراته الباردة : ((كما ترى , لم

يكن قلقك ضرورياً . أنا

بصحة جيدة)) .

ارتجفت سيلان ديوروكس بشكل مبالغ فيه

وقالت شاكية : ((لا

تكن بارداً بهذا الشكل)) .

فأجاب يريد أن يكسب الوقت : ((هل

كنت بارداً ؟)) .

زمت السمراء شفيتها ورمقته بنظرة مثيرة من

تحت أهدابها . أثار

التكلف الذي رافق كل كلمة نطقت بها وكل

لفتة أعصابه فيما تنهدت

هي وقالت : ((لا بأس . . أعلم أنه ما كان
علي أن أخضر إلى هنا
لأنك تطالب خليلتك بالتكتم و التحفظ
, لكننا لم نعد في القرن
التاسع عشر)) .
لم تكن الومضة التي ظهرت على ملامحه ,
هي الوحيدة التي
كشفت عن الصدمة التي أصابته لكلامها
هذا , بل الشتيمة التي

أطلقها بعد أن لمعت في ذهنه . لقد فهم

أخيراً ما الذي جعل

أعصاب أمبرتو الفولاذية تتوتر فسيلاين

ديوروكس خليلته وهي واثقة

من نفسها بما يكفي لتزوره في بيته رغم علمها

أنه متزوج .

موقف خليلته عكس ما سيكون عليه موقفه

نحو زوجته . و خطر

في باه أن تلك الشتيمة التي خطرت له الآن

, تنطبق أيضاً على

سلوكه قبل الحادث . لم يحتاج إلى عبقرية

ليدرك سبب فشل زواجه ,

أو لما قالت له زوجته إنه لا يهتم بها . . فقد

كانت له علاقة .

. ما زلت أرى أنه كان من الحكمة لو قاومت

رغبتك في القدوم

إلى هنا . لكن , وبما أنك هنا الآن , فمن

الأفضل أن أخبرك أن

علاقتنا انتهت .

عندما أخذت تتأمله مدهوشة غاضبة ،

أنهى حديثه بالأسف

المعتاد ؟ كان يعلم أن كلامه غير مقنع ، لكن

همه الوحيد هو أن يبعد

سيلابن عن بيته قبل أن تراها هيلاري فتعتبر

ذلك بمثابة صفة في

وجهها . لم يتعود أن يجد نفسه مخطئاً وقد

ثارت ثائرتة عندما

اكتشف أن حياته الخاصة مضطربة . أشارت

سيلابن إلى أنه لم ينضم

إليها في الموعد المحدد بينهما أمس فقط , ما

لا يترك مجالاً للشك .

كان غير مخلص لزوجته , فلا عجب في أن

يחס بمثل هذا التوتر

بالنسبة إلى علاقتهما .

ترى هل هيلاري على علم بعلاقته بسيلاين

؟ إنها على علم طبعاً

بوجود امرأة أخرى ! وهذا هو السبب في أن

زواجهما غير مكتمل .

هل رفضت هيلاري أن تشاركه الفراش لأن
لديه خلية ؟ لقد طُلب
منها ألا تعطيه معلومات مزعجة , وهي لم
تخبره بشيء قد يزعجه .
لكنها لم تتمكن من إخفاء انزعاجها
واضطرابها بعد أن ناما في سرير
واحد وإلا لاستنتج أنها ما زالت عذراء
فقط لأنهما ما زالوا
عروسين .

لكن تفسير سبب عذريتها و الشعور بالذنب

تجربة جديدة بالنسبة

إليه . في الواقع , وبما أنه رجل من آل

ساباتينو فقد اعتاد أن يقدر

الأخلاق , فهم رجال ساباتينو يعتزون

بكرامتهم .

لكن زوجاتهم أظهرن طمعاً وميلاً إلى الخيانة

وضعفاً أخلاقياً .

يبدو أن هيلاري أفضل من النساء اللواتي

اختارهن أسلافه .

بقي صامتاً بينما راحت سيلاين تحاول أن

تجعله يغير رأيه قبل

أن تتهمه , أخيراً , بالقسوة و عدم الإحساس

. لم ينطق بأي كلمة .

سيعوض عليها بشكل سخي بعد أن أنهى

علاقتها بشكل مفاجئ .

وتصاعد غضبها لفشلها في أحداث تأثير

ملموس فيه فتركته أخيراً

خارجة إلى الردهة . وكانت هيلاري قد

استجمعت شجاعته وقررت

البحث عن راوول إذ شعرت بالقلق حين
غاب عن غرفة النوم
طويلاً . فخرجت في الوقت نفسه الذي
كانت سيلابن ديوروكس
تجتاز فيه الردهة في الأسفل . وقفت هيلاري
جامدة على فسحة
السلم تحديق في المرأة الغريبة , ذات الشعر
الكستنائي المرفوع ,
و الوجه المذهل الجمال والساقين اللتين بدتا
لها بطولها .

رأت السمراء تخرج فتساءلت عن من تكون
. هل كانت تزور

راوول ؟ أيمن أن تكون عشيقته ؟ لماذا لم
يخطر في بالها أن راوول

على علاقة بامرأة ؟ وتملكها القلق و الضيق
فأسرعت عائدة إلى غرفتها

و لجأت إلى السرير . آخر فكرة خطرت لها
قبل أن تستسلم للنوم ,

هي أنه لو كان في حياة راوول امرأة أخرى لما

اتصلت بها عمته في

لندن .

وبعد عشر دقائق ، وقف راوول ينظر إلى

زوجته النائمة . بدت

أهدابها مطبقة وكأنها بكى . الضمير الذي لم

يكن يعلم انه يملكه ،

أخذ يخزه الآن . في مراهقته ، لم يُضع وقتاً أو

جهداً على النساء .

لم يقع في الحب قط , واعتاد أن يتركهن هو .

لكن هذه المرأة

بالذات مختلفة , لأنه تزوجها وجعلها تعيسة .

أظافرها المقضومة

تتحدث عن ذلك وهي تستحق أكثر مما

وجدت . لم تذكر سيلاين ,

وهذا أمر مناسب , وهو لن يأتي على

ذكرها أيضاً . إنها زوجته

وسيتابعان من تلك النقطة .

عندما استيقظت هيلاري أخذت تتمطى
نظرت إلى ساعتها بدعرا ،
فوجدت أن بعد الظهر حل . راودتها أحلام
مزعجة ما جعل ليلتها
مضطربة فتأخرت في النوم . نزلت من
السريـر وحاوالت أن تشغل
نفسها ، لكن عقلها راح يخونها طوال الوقت
. تذكرت راوول بشعره
الأسود الرطب و عينيه القامتين الرائعتين
وارتجفت . مجرد التفكير

في راوول جعلها تشعر بوهن في ركبتها .

مظهره البارد القاسي يخفي

خلفه مزاجاً دافئاً مشبوباً .

لكن سعادتها الكبرى تكمن في أنها أصبحت

تجرؤ على القول إن

راوول رجلها . ورغم سخافة هذا الأمر إلا

أنه حلمها . الليلة

الماضية , حطمها الشعور بالذنب لأنها

شاركت صادقة مع راوول

فراشه , لطالما كانت مستقيمة و صادقة لكن

الأحداث جعلت من

المستحيل أن تكون مع راوول . لكن فيما

هي تبعد الستائر لتكشف

عن نهار مشرق , قررت أنها متعبة للغاية و

قاسية على نفسها .

إذن , فقد أتمت زواجها مع راوول ! وبينما

يبدو هذا خطوة هائلة

بالنسبة إليها , إلا أنها تظن أنه ليس ذو أهمية

بالنسبة إليه .

إنه بالغ الثراء و الوسامة و لا بد أنه ذو تجربة
واسعة مع النساء ,
سواء أعجبها هذا أم لا . لعلها زوجته لكنه
لا يتذكرها . ومع ذلك
لم يضع الوقت سدى . لكن , بصراحة ,
ليس لديها ما تشكوه من
هذه الناحية . في الواقع , كانت أشبه بجارية
ترجو أن يشعر بالحرية
معها فيكرر ما حدث بينهما .

إنها غارقة في غرام راوول ولم تكن تتصور أن

تمنح رجلاً غيره

حبها . فماذا لا تجمع ما أمكنها من

الذكريات غير الضارة

للمستقبل ؟ وبعده ستعيش وحدها لأنها لا

تؤمن بالعيش مع ما

يسمونه بخيار ثان .

فما من رجل يقارن براوول البالغ الوسامة و

الجاذبية , عدا عن

الذكاء و القوة . إن الرجال الآخرين

يتقلصون أمامه .

هذا هو السبب الذي جعلها لا تستطيع

نسيان حبها . سمعت صوتاً

في غرفة النوم فخرجت من الحمام و أحمر

الشفاه لا يزال في يدها .

وعندما رأت زوجها واقفاً عند العتبة , تمتمت

: ((آه . . . أهذا أنت ؟)) .

فقال بصوت أجش : ((يا لك من محبة

للنوم)) .

استقرت نظراتها على وجهه القوي ,

وتسارعت خفقات قلبها .

وعندما لاحظ مجموعة مساحيق الزينة

الموجودة على الطاولة قطب

جبينه : ((لست بحاجة إلى هذه الأشياء .

تخلصي منها)) .

نزعته الاستبدادية أثارت فيها نزعة التمرد ,

فعدت إلى المرأة

وأخذت تصبغ شفثيها بيد متمرده : ((أنا

أحب الزينة)) .

قال بنبرة عكست دهشته لاستخدامها

مساحيق الزينة معه : ((لكن

يجب أن تعلمي أنني لا أحبها)) .

فقلت : ((لحسن الحظ أن لديك الخيار في

ألا تستعمل مساحيق

الزينة)) .

. دعي عنك السخرية . إنني أكره كل ما هو

زائف .

نظرت عليه قائلة بابتسامة عريضة متساححة :

((إنك رجل مذهل . . .

فأنت متحكم , مدلل)) .

فقال بشيء من الارتباك : ((مدلل ؟)) .

. نعم . أينما ذهبت يحيط بك أناس

يتملقون أوامرك . خدم .

موظفون . . . ظن أنك تعبت من السيطرة

إلى هذا الحد , كن يبدو

أن استمرارك في إعطاء الأوامر ينعشك)) .

فقال بهدوء : ((عندما أعبّر عن تفضيلي

لأمر ما فهذا لا يعني أنني

أعطي أوامر)) .

. هذا أشبه بإعطاء الأوامر . لن أزيل زينة

وجهي فقط لأنها لا

تعجبك . أنت ترتدي بذلة مملة تماماً . . .

فهل تلقي بها لأنها لا

تناسب مع الزي الحديث ؟

. أنا لا أرتدي الأزياء الحديثة في المصرف .

سمعت نفسها تقول وقد تملكها الإثارة :))

لكنك لست في

المصرف الآن)) .

فجذبها إليه من دون سابق إنذار وهو يقول :

((أنت جريئة جداً)) .

أشرق وجهها وهي تنظر إليه وجذبها

أكثر فكادت تذوب بين

ذراعيه القويتين , وهمست : ((أتعني أنني و

قحة ؟)) .

أحاط وجهها بيديه السمراوان . كانت

عيناها الزرقاوان تعكسان

التشجيع , فتسمرت نظراته على ملامحها

بنهم : ((كل ما أعرفه هو

أنك تبعثين الحرارة في كياني . ولولا أن

الخادمت في الغرفة

المجاورة يحزمن أمتعتك , لبرهنت لك بالفعل

ما أقوله . وأظنك

ستحبين ذلك يا حبيبي)) .

سرت الحرارة في جسدها . كادت لا تصدق

أنه قال لها هذا

لكن نظراته العنيفة أكدت كلامه . ارتجفت

ساقاها وشعرت بالوهن

والإثارة لجرأته , وتسارع نبضها .

و تابع يقول مفكراً : ((بإمكانني أن أفعل

هذا من دون أن تتأثر زينة

وجهك)) .

فقلت بصوت خافت : ((ربما . . .)) .

نظر إلى وجهها التي تعلوه المشاعر المحمومة ،

وضحك راضياً :

((لكنني سأقاوم لهفتي حتى تمسحها عن

وجهك)) .

. إذن ، ستنتظر وقتاً طويلاً .

و انتزعت نفسها بعنف مبتعدة عنه , ثم

ترددت . عليها أن تسأله

عن زائرة الليلة البارحة سواء شاءت ذلك أم

لا : ((رأيت المرأة التي

جاءت لزيارتك الليلة الماضية وتساءلت

عمن تكون . . .)) .

جمد راوول في مكانه : ((أي امرأة ؟)) .

فاحمر وجهها : ((شعرها طويل أسود . . .

وهي جذابة جداً)) .

. آه , تلك المرأة . .

وهز كتفيه بهدوء رائع من دون أن تتحرك

أي عضلة في وجهه :

((إنها موظفة عندي)) .

موجة الارتياح التي اكتسحت كيان

هيلاري جعلتها تشعر

بالدوار . غباء منها أن تخاف من كل سمراء

جميلة . وسمعت شخصاً

في الغرفة المجاورة يوجه سؤالاً على راوول ,

فقال لها : ((هيلاري ,

تقول الخادمة إنها لم تجد في حقيبتك سوى

القليل من الملابس .

أين بقية ملابسك ؟ ((.

عادت إلى الواقع بعنف وجمدت مكانها

مدعورة . من الطبيعي أن

يتوقع راوول امتلاكها لكثير من الملابس .

ألا يفترض أن تكون

زوجات الأغنياء مجنونات بالملابس الحديثة

الطراز ؟ ألا يفترض أن

تكون غرفة الملابس تلك مليئة بالملابس ؟

كيف لها أن تفسر فراغ

الخزائن و الأدرج ؟

حاولت مدعورة أن تجد سبباً معقولاً لقلّة

ملابسها . وأخيراً هزت

كتفيها : ((حاولت أن أتخلص من كافة

الملابس غير المرغوبة فيها)) .

. لكن الخادمة تقول إن لديك ثوبين هنا فقط

, يا عزيزتي .

عضت شفتها السفلى و أخفضت بصرها .

لقد أصبح ذهنها صفحة

بيضاء : ((شغلتنى بعض الأمور مؤخراً . . .

((.

طال الصمت , فنظرت إليه متوترة لتجد

ملامحه جامدة .

بادها النظر فتمتت : ((علي في الحقيقة أن

أذهب للتسوق)) .

. أظن أنك كنت تعيشين في مكان آخر .

. فهتفت متوترة : ((بالله عليك . . .)) .

. إذن , أوضحي لي بشكل مقنع سبب

خلو خزانتك من

الملابس .

تملكها توتر عنيف , وتنفست بعمق , وإذا

بالإلهام ينزل عليها

فقلت : ((حدث بيننا خصاك غبي لأن

ذوقي في الملابس لم يكن

يعجبك . . . وتملكني الغيظ منك , فألقيت

بعيداً بكل ما لدي !)) .

أخذ ينظر إليها متأملاً : ((يمكنني أن أتصور

ذلك بعد ما عرفته

عنك من سرعة انفعال)) .

خفف كلامه من توترها , وسأله : ((لماذا

تحزم الخاديات

أمتعتي ؟ هل نحن ذاهبان إلى مكان ما ؟))

.

. نعم . إلى قصر ((كاستيلو ساباتينو)) .



نهاية الفصل ((الرابع)) . . .

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.5

عروس زائفة

كان ((كاستيلو ساباتينو)) قصراً من القرون

الوسطى , يقف منتصباً

كالخارس مشرفاً على وادٍ مشجر قريب من

الحدود الإيطالية . رأت

بحيرة هادئة ذات مياه كالبلور تداعب أسفل

الأسوار الحجرية

العالية , بحيرة أشبه بمرآة تحت السماء الزرقاء

وقرب جبال الألب

التي توجت قممها بالثلوج . كان القصر

ومحيطه يجبان الأنفاس

لجماهما , ولم تدهش هيلاري لأن راوول

رضي بأن يتزوجها

ليضمن حصوله على بيت أسلافه .

الطائرة المروحية التي استقلها في جنيف

حطت في المكان

المخصص لها . حملها ونزل بها من الطائرة

بسهولة , ثم أمسك

بيدها ليسيرا الأمتار القليلة الأخيرة . رآته

يعبس في الشمس ثم

يخفض رأسه الشامخ وكأن أشعة الشمس

المتألقة تؤذيه .

سألته بقلق : ((هل أنت بخير ؟)) .

قال بصوت عميق وبنبرة مختصرة , بغيظ

رجل لم يتعود التذمر

و الشكوى : ((أنا متعب قليلاً , ليس إلا

((.

وبعد لحظات صمت أردف : ((ذهبت إلى

مكتب في الخامسة هذا

الصباح . . .)) .

فوقفت جامدة : ((ماذا . . . فعلت ؟)) .

. أنا صاحب مصرف ((ساباتينو)) و لا

يمكنهم التصرف من دوني .

علي أن أتآلف مع الأحداث الجارية ,

وأطمئن إلى أن العمل مستمر

من دوني و أتصرف مع ما لا أفهمه .

. لا أستطيع أن أصدق أنك ذهبت إلى ذلك

المصرف التعيس

مع طلوع الفجر , حتى قبل انتهاء الأربع

وعشرين ساعة راحة التي

أمر بها الطبيب .

ورآها ترتجف غيظاً , فقال : ((فعلت ما هو

مفروض بي أن

أفعله)) .

تأملت فكه الصلب الذي بدا وكأنه قد من

صخر , كان من العناد

بحيث أوشكت أن تصرخ . بدت بشرته

السمراء , في الضوء الساطع

بلون الرماد . بدا مرهقاً للغاية .

. في الواقع , ليس لديك أي احترام لصحتك

.

كان راوول في هذه الأثناء يجتاز البوابة

الكبيرة لمدخل القصر ,

فرمقها بنظرة قاسية بدا فيها فروغ الصبر :

((هل صورت حقاً أن

بإمكاني أن أغيب عن المصرف من دون أن

أعلن السبب ؟ غيابي

سيسبب ذعراً سينتهي بانتهاء العمل)) .

سألته وهي ترى تقطيع الألم في حاجبيه : ((

وما هو السبب الذي

أعلنته ؟)) .

. قلت إن الحادث تسبب في إصابتي بازدواج

الرؤية , وإن علي

أن أريح نظري . وبهذه الطريقة سأتمكن من

أن أتلقى المعلومات من

مساعدتي من دون أن أثير الفضول و

التعليقات .

فقلت بإعجاب : ((يا لك من محتال)) .

. وأضفت إلى ذلك أنني سأستغل الإجازة

المرضية المفروضة

. علي من العمل واستمتع بإجازة مع زوجتي .

. يا إلهي . . وهل أدهشهم هذا ؟

طرحت هذا السؤال وقد جف فمها ,

فالذهول الذي بدا على

أمبرتو حين سمع أن راوول متزوج جعلها تدرك

أنه أبقى خبر زواجه

سراً عن الجميع باستثناء عمته بوتستا . لذا

فلا بد أن أي إشارة إلى

زواجه ستدهش الموظفين في المصرف .

قال : ((إن دهشتهم مبررة , فأنا لم أتعود

أخذ إجازات .

بالمناسبة , كان عليك أن تناقشي معي مسألة

منع تحويل أي

اتصالات هاتفية إلي)) .

فاحمر وجهها : ((كان عليك أن تصر أن

بإمكانك أن تجيب

عليها)) .

. على المدى القصير , كانت فكرة حسنة .

وتوقف ليرد تحية مديرة المنزل وهي امرأة في

منتصف العمر

خاطبها باسم ((فلورنزا)) . جمد عند أسفل

السلم الحجري , ثم قال

بشيء من التعنيف : ((ولكن لا تتصرفي مرة

أخرى بالنيابة عني من

دون أن تشاوري معي)) .

أغضبها تعنيفه هذا , فتحت فمها لترد عليه

بحدة لكنه ضغط

بأصبعه على شفثيها فارتجفت وقد شعرت

فجأة بالشوق إليه , وعاد

يقول : ((أنت تعلمين أنني على حق . .))

. لا . لا أعلم أنك على حق . ما الذي

حدث ؟

حذق إليها بنظرات شاردة , قبل أن يعبس

ويعود فيحذق إليها

سائلاً بقوة : ((أنت ركضت خلفي في

الشارع . . .)) .

عند هذا التصريح الغريب , نظرت إليه من

دون أن تفهم . ولكن

عندما ضغط بيده على جبينه متشككاً ،

قالت : ((راوول . . . إجلس ،

بالله عليك)) .

فقاطعها بخشونة : ((كلا . . .)) .

طوق خصرها النحيل مضيفاً بذراعه : ((

سنصعد إلى الطابق العلوي

لنتحدث عن هذا على انفراد)) .

فهمست وقد شعرت بالتوتر : ((نتحدث

عن ماذا ؟)) .

فهمت عندئذ قوله : ((أنت ركضت خلفي

في الشارع)) . فعادت

تقول : ((لقد تذكرت لتوك شيئاً من الماضي

.. كما تذكرت شيئاً

عني .. .)) .

وتملكها حرج بالغ بينما قال : ((بهذا الأمر

وكان شخصاً لوح

أمامي بصورة قديمة .. .)) .

وبحركة دلت على فروغ صبره , دفع باباً

فانفتح على غرفة

استقبال أنيقة . ورغم أن هذا المقدار الضئيل

من الذكريات الضائعة

حيره , إلا أنه أكسبه قوة . وتابع يقول : ((

كنت تحاولين أن تعيدي إلي

بخشيشاً منحتك لك . .)) .

. نعم . .

وشبكت يديها معاً ثم فكتهما ثم أعادت

شبكتها , بينما أخذ هو

يحدق إليها بحيرة وعدم تصديق : ((لماذا

أعطيتك بخشيشاً ؟ هل كان

ذاك مزاحاً أو ما شابهه ؟)) .

أصبح وجهها بشحوب وجوه الموتى

وشعرت وكأنها تلقت

صفعة . رأت الهوة تتسع بينهما , فهي

ليست كما توقع أن تكون ,

وهي ليست ولن تكون جزءاً من عالمه المترف

.

قالت : ((كنت قد حلقت لك شعرك لتوي

((.

. شعري ؟

وحدق إليها وكأنها مهرج أمامه فيما

زمت هي شفيتها وأومات

برأسها : ((أنا . أنا حلاقة . وهذا))

البخشيش)) الذي دفعته , كان في

أول لقاء لنا

. يا إلهي ! يمكنني أن أتذكر ما شعرت به

وفكرت فيه في تلك

اللحظة في الشارع ! آثرت في رغبة قوية

للغاية . أردت أن أجرك إلى

سيارتي الليموزين , ومن ثم إلى الفندق حيث

نمضي معاً عطلة نهاية

أسبوع كاملة .

احمر وجهها , ليعود إلى طبيعته لاحقاً ببط

والم . حسناً , على

الأقل لم يحاول أن يزيّف عواطفه بل اعترف

بصراحة بما شعر به

وعيناه العنيفتان مسمرتان عليها . عليها أن

تكون شاكرة لأنه وجدها

جذابة , رغم أنه كان من الجفاء و الفظاظة

بحيث لم يظهر ذلك .

لكنها لم تكن شاكرة بل غاضبة مجروحة . ما

الذي تصلح له برأيه ؟

تمضية عطلة أسبوع معها ؟ أهذا كل ما

تصلح له ؟ أیظنها مومس

تذهب مع رجل تكاد لا تعرفه إلى الفندق ؟

وشعرت بألم مبرح .

كانت لترافقه لو طلب منها ذلك . لعلها ما

كانت لتفعل ذلك في ذلك

اليوم الأول لتعارفهما لكن في ما بعد بعد أن

سلب عقلها وقلبها

بحيث أصبحت مستعدة للقيام بكل ما يلزم

للحصول عليه . وخنقتها

الدموع .

اتكأ إلى الجدار خلفه , محاولاً بجهد للتحكم

في الإرهاق الذي

يشعر به , وقال : ((هل يضايقك كلامي ؟

ما كان لي أن أقول ذلك)) .

فقلت بمرح زائف : ((لا تقلق لذلك , فأنا
لست مرهقة
الإحساس . أرجوك أن تستلقي فترة فأنت
تبدو متعباً)) .
فك ربطة عنقه وفتح قميصه ثم سار إلى
الغرفة الملاصقة لهذه
الغرفة . قالت له من عند الباب : ((أظن
أن علي أن أستدعي طبيباً)) .
لا شيء يستدعي ذلك . كفى اهتماماً لا
داعي له .

أخذت تنظر إليه وهو يستلقي على سريره

من دون أن يخلع

حذاء حتى ، ثم جذبت الستائر على النوافذ

.

قال وعيناه نصف مغمضتين : ((كان عليك

أن تعلمي أنني من يقرر

لنفسي ، يا عزيزتي)) .

. هذه ليست مشكلة .

تكلمت بحنان وعادات لتجلس على السرير

ثم شبكت أصابعها

بأصابعه . رغبته في أن يتخذ قراراته بنفسه

ليست مشكلة ما دام قراره

ينسجم مع استنتاجاتها .

. ما قلته . . . إن وميض الذاكرة ذاك

فاجأني ما جعلني غير

مهذب .

فأجابت بصوت هادئ , حلو كالعسل :))

لم تكن غير مهذب بل

جلفاً نوعاً ما , لكن سأسمحك هذه المرة

لأنك لطالما كنت أكثر

الرجال الذين عرفتهم شاعرية)) .

استرخت قبضته ونظر إليها مذهولاً :))

شاعرية . . . ؟ .)) .

حتى في حالة الضياع التي تملكه , التوى

فمه الواسع ساخراً من

كلامها وهو يتابع :)) هذه مزحة منك . . .

((.

. كلا , إنها ليست كذلك .

طوقها بذراعه وتمتم ناعساً :)) يمكنك أن

تبقي هنا حتى أنام)) .

أوشكت أن تقترف غلطة فتسأله إن كانت

أمه قد اعتادت أن تفعل

ذلك . لكنها , و الحمد لله , تذكرت أن

مثل هذه الأمور لم تحصل في

طفولته , فقد كان عمره سنة واحدة عندما

تركته أمه هاربة مع عشيقها

ولم تعد حتى لزيارته . عندما لم يستطع أن

يتجنب أسئلتها الكثيرة ,

أخبرها هذا في جملة واحدة مختصرة لكنها

انغرزت في قلبها

الحنون .

عندما استغرق في النوم , نزلت إلى الطابق

السفلي و تناولت وجبة

لذيذه في غرفة طعام رائعة مؤثثة بشكل

فخم . لم يسمح قلبها

لأفكارها بأن تتحول إلى أي موضوع آخر

غير راوول . بدا واضحاً

أنها ستعود إلى وطنها قبل أن يمضي وقت

طويل . و بدلاً من أن

تسعدھا هذه الفكرة , شعرت بحزن لا

يحتمل فذلك يعني أنها

ستفقد راوول مرة أخرى . لقد تذكر اليوم

تفاصيل من السنوات

الخمس المفقودة من ذاكرته . حدث ذلك

بشكل أسرع مما توقعت .

حين قال الدكتور ليرذر إن فقدان الذاكرة

لدى راوول مؤقت

اعتبرته متفائلاً جداً لكنها ترى الآن أنه كان

على حق , قريباً سيتذكر

راوول أحداث السنوات الخمس التي نسيها

. بعدئذ لن يحتاجها .

لكن , هل سبق و أن احتاجها من قبل ؟ أم

أن هذا مجرد تمنيات

منها ؟

تكومت في كرسي قرب سرير راوول , تتأمله

أثناء نومه . حدثت

نفسها بأنها ستحرص من الآن فصاعداً على

ألا تكون علاقتهما

جسدية . فعندما يتذكر حقيقة زواجهما ,

كيف ستكون نظرته إليها ؟

ألن يجد اكتمال زواجهما غريباً ؟ هل

سيهتهم بها على الإطلاق ؟

وهمس صوت في داخلها مواسياً بأنه رجل ,

أي أنه لن يضيع الكثير

من الوقت في التساؤل عما جعلها تقدم

على بعض التصرفات

المعينة . لا . . . جل ما سيرغب فيه هو

العود إلى حياته الحقيقية .

لعله سيرتاح عندما يعلم أنه ليس بحاجة لأن
يعتبر نفسه متزوجاً ،

بحسب الشروط المتفق عليها . عندما يستعيد
ذاكرته كلياً ، سيضحك

كثيراً لمنحى الذي اتخذته الأحداث .

عندما استيقظت هيلاري ، كانت في السرير
وضوء النهار يتسلل

من بين الستائر ليقع على رأس راوول المنحني
ينظر إليها .

تمت وقد فوجئت : ((كم الساعة الآن ؟
((.

فقال وعيناه اللامعتان تتأملانها : ((السابعة
وخمس دقائق . لقد

نمت طويلاً , وأشعر أنني

فقاطعته : ((لا أتذكر أنني نمت في سريرك))

.

. لم تفعلي , بل كنت نائمة على كرسي . ما
كان لك أن تقلقي

علي إلى هذا الحد , يا عزيزتي . إنني أجد

رعاية نفسي .

سرت نبرته الحنون في كيانها , ومن دون وعي

منها وجدت

نفسها تندس فيه . لكنها ما لبثت أن ذعرت

لتصرفها هذا بينما يُفترض

بها أن تقطع أي علاقة بينهما . وشعرت

بتعاسة فجلست منتصبة

بحركة مفاجئة ومن دون تردد أعادها راوول

إلى وضعها الأول ,

وعيناه تعكسان جوعاً من دون خجل :))

لن تذهبي إلى أي مكان , يا

" سيدة ساباتينو) .

مخاطبته لها بلقب الزوجة زاد من ألمها .

. ولكن . . .

. أنت مضطربة جداً هذا الصباح ولكن من

غير المسموح لك أن

تغادري السرير قبل أن أسمح بذلك .

عندما رفعت بصرها إلى وجهه الوسيم ،

انتفض قلبها وشعرت

بالوهن و الشوق .

أخذ قلبها يخفق بسرعة راضياً بعد أن

تأملها : ((أنت

تريديني يا جميلتي)) .

. نعم . . .

لم تستطع أن تصدق كيف فقدت قدرتها على

التفكير , فكيف

بقدرتها على مقاومة شعورها ؟ تلهفت إليه ،

وراح جسدها يحترق

بفروغ صبر ، ما جعلها تخمد ذلك الصوت

الخافت في أعماقها الذي

يحذرنا من أن ما تفعله خطأ .

واستمتعت بعواطفه المشبوبة و احتضنت

رأسه أسود الشعر وتخللت

شعره الكث بأصابعها لتمر بيديها بعدئذ

على كتفيه العريضتين .

. أنت تجعليني جائعاً إليك للغاية .

رفعت بصرها إليه , معجبة بجمال رجولته .

تملكتها موجة من

الحب و الرضى , كما اغرورقت عيناها

بدموع السعادة . راح يقاوم

تفحصها الدقيق له وحمرة الخجل على بشرتها

العاجية . لكنها لم

تستطع التوقف عن التحديق إليه . كانت

وجنتاه عاليتين وملاحة

تعكس الكبرياء . كما أن وسامته مذهلة

بالرغم من لحيته التي لم

تحلق منذ يومين .

همست وهي ترتجف , واضعة أصابعها على

فمه : ((و سامتك

تحبس أنفاسي . . .)) .

أمسك بيدها ثم أخذ يحدق إلى أصابعها

بدهشة : ((أين خاتم

الزواج ؟)) .

تملكها الذعر . كان عليها أن تتذكر أن

الزوج يتوقع أن يرى

خاتماً في إصبع زوجته .

. أنا . . . لم أشأ أن ألبس خاتماً .

اتكأ إلى الوسائد خلفه بعنف : ((لم لا ؟))

. . . احمر وجهها وقالت متلعثمة : ((كنت . . .

ظننت أن ((المحبس))

. . . تقليد قديم . لا أفهم لما علي أن أهتم . . .

. ((

. لن أقبل هذا العذر . لقد تزوجتك و أتوقع

منك أن تلبسي خاتم

. زواج .

شعرت بالذعر لاضطرارها إلى الاستمرار في

الكذب لتغطية

ادعائها , ولم تستطع مواجهة عينيه : ((

سأفكر في ذلك)) .

قال وهو يقفز من السرير : ((لا , لن

تفكري في ذلك . سأشتري

لك خاتم زواج وستلبسينه وتنتهي القصة)) .

عندما وصل إلى منتصف الغرفة وقف

والتفت إليها . بدا وجهه

جامداً وعيناه متحديتين حين قال : ((

أتعلمين ؟ لم تخبريني قط لما لا

تزال زوجتي عذراء)) .

قالت بلهجة دفاعية متوترة وهي تجلس في

السريـر ممسكة

بالملاءة تشدها من حولها : ((ولن أخبرك

طالما تتحدث إلي بهذه

اللهجة)) .

. عليك أن تصرفي بشكل أفضل , يا عزيزتي

فردت عليه بالإيطالية بعنف : ((لا , ليس

علي هذا . عندما تستعيد

ذاكرتك ستدرك أن ما من غموض يحيط

بعدم خبرتي . . .)) .

. هل هذا صحيح ؟

. كما لن تعتبر الأمر مهماً للغاية .

. أخبريني بأمر واحد فقط . لماذا تزوجتك ؟

جمدت لحظة , ثم قالت بغموض : (

تزوجتني للأسباب المعتادة

كلها . . .)) .

. أتعين أنني وقعت في غرامك ؟

. لن أقول شيئاً .

ثم عادت ففكرت في أن تقول ما يتوقع أن

يسمعه فينتهي هذا

الموضوع .

. لا بأس . لقد وقعت في غرامي .

استدار وتوجه نحوها بتوتر واضح : ((إذن

, وقعت في شرك

الحكايات الخرافية ؟)) .

فقلت بشيء من التوتر هي أيضاً : ((وما
الذي يمنع ذلك ؟)) .

فأخني يرفعها عن السرير : ((لا شيء .
وقعت في شرك الحكايات
الخرافية)) .

على مائدة الفطور في الفناء المغمور بأشعة
الشمس و المزين
بمختلف أنواع الأزهار و النباتات , سألت
هيلاري راوول عن تاريخ

القصر . بدا واضحاً لها غرامه بكل حجر مر
عليه الزمن . حاولت ألا
تفكر في الأكاذيب التي أخبرته بها منذ
فترة . لقد كف عن طرح
الأسئلة المربكة ولم يعد يقلق من ناحية
علاقتها , و هذا هو الأهم ,
فالطبيب نصحها بألا تخبر راوول ما يقلقه
. ألا يعني هذا أنها لم
تخطئ ؟ إن بعض الأكاذيب البيضاء الصغيرة
لا تسبب أي ضرر .

قال وهو يدخل إلى الصلاة : ((لقد رتبت

لك مفاجأة)) .

. ما هو نوعها ؟

. أظن أن الوقت حان للاهتمام بمشكلة

الملابس .

قالها برقة ثم فتح باباً يؤدي إلى غرفة

استقبال فسيحة مزدحمة .

كان راوول قد أرسل دعوات إلى عدد من

مصممي الأزياء لزيارة

قصره مع بعض الأثواب . أُدخلت هيلاري
إلى الغرفة المجاورة حيث
أخذ قياسها . وتملكها الذعر . كيف
تسمح لراوول بأن يشتري لها
الملابس ؟ لكن كيف تقنعه بأنها ليست
بحاجة إلى أي ملابس جديدة
بينما رأي بنفسه مدى حاجتها إليها ؟
وبعد دقائق قليلة عادت إلى راوول وهي
ترتدي بذلة من أحدث
الموديلات .

أخذ راوول يتأملها . لون بذلتها الفيروزي

أبرز جماله شعرها

الأشقر الفضي , بينما أظهرت السترة

القصيرة المحكمة على

جسدها , والتنورة الواسعة , قوامها المذهل

بخصرها النحيل ووركيها

البارزين فضلاً عن ساقها المتناسقتين .

ولمعت عيناه باستحسان

الرجل للأنثى , وتمتم هامساً في أذنها : ((

لذيذة)) .

ولأول مرة في حياتها , شعرت هيلاري بأنها

تستحق الاهتمام . .

وتبدد شعورها بالنقص إزاء استحسان راوول

لها . احمر وجهها

خجلاً لكنها , وفي الوقت نفسه , رفعت

رأسها بزهو . عندما يبدي

راوول إعجاب به بما تتلاشى عقدة النقص لديها

من قصر قامتها وبروز

مفاتها .

منذ تلك اللحظة , أخذت هيلاري تستمتع
بتخيل أن راوول أصبح
عالمها الوحيد . و أخذت تقيس ثوباً بعد
ثوب . كانت أقمشة الملابس
رائعة الملمس , و كانت المرايا الطويلة المذهبة
على الجدران تعكس
صورتها بشكل لم تستطع معه أن تميز نفسها
. رأت نفسها ترفل في
ثوب سهرة رائع و في بذلة مذهلة , و
سلسلة من الأثواب القصيرة

الجميلة بشكل لا يصدق . كان كل ثوب
يترافق مع حقيبة و حذاء
يناسبه . شعرت وكأنها في حلم رائع , إذ
تضافر الجميع ليشجعوها
على أن تمارس لعبتها المفضلة وهي ارتداء
الملابس و تبديلها تماماً
كما كانت تفعل وهي طفلة .
وخلال ساعات معدودة أصبح لديها من
الملابس أكثر مما اقتنته
طوال حياتها .

كانت تعلم أنها لن تلبس معظمها , وحدثت

نفسها بأن راوول

يمكن أن يعيد الملابس إلى المتجر حاملًا تعود

إلى وطنها .

قالت له وهي تلهث من الإثارة , بعد أن

بقيت مرتدية تنورة تبنية

اللون و بلوزة من دون كمين : ((لن أتمكن

من ارتداء كل هذه

الملابس)) .

فقال : ((أنت زوجتي ويجب أن يكون لديك

كل ما تريدينه)) .

انقبض قلبها والتمعت عيناها شاعرة بالألم إذ

كانت تدرك أن هذا

ليس سوى ادعاء .

. هيلاري ؟

. أنت في منتهى الكرم نحوي

. ألا تعرفين كيف تردين الكرم ؟

ورمقها بنظرة معبرة ترافقت مع ابتسامة

شيطانية من فمه الجميل .

جف فمها و أخذ قلبها يخفق بعنف . كان

رائعاً إلى حد جعلها

ترتجف . كان تأثيره فيها هائلاً .

وتباع يقول بصوت مثل بالمشاعر : ((وإذا

كنت لا تعلمين ,

فيمكنني أن أجعلك تدركين ذلك بالإشارة ,

يا حبيبي)) .

كلامه هذا جعلها تشعر بالشوق إليه

وصدمها رد فعلها هذا

فأخفضت بصرها مقاومة ضعفها قد إمكانها
لكنه جذبها إليه ،

وعندما شعرت بحرارة جسده توهج وجهها
احمراراً ، رغم أنها

أرادت أن تذوب فيه بكل خلية من كيانها .
وتعلقت عيناه بعينيها :

((تبدين بريئة إلى حد لا يصدق . ما أريده
أكثر من أي شيء آخر في

العالم هو أن تبقي بين ذراعي . أظني
تزوجتك لأنك لا تنفكين

تدهشيني !)) .

قالت هيلاري بصوت مرتجف و هي تمرر

إصبعها على الخاتم

الذي وضعه في إصبعها قبل أن تنظر إلى

راوول حاملة : ((مذهل !

رائع ! لا أعرف ماذا أقول . . لم أكن أتوقع

هذا)) .

إنه خاتم زواج . وتأثرت حتى الأعماق

برغبته في أن يراها تضع

الرمز الذي يدل على عهودهما الزوجية .

قال بهدوء وعيناه تتألقان :

((لن أفضل في شيء , يا حبيبي . أريد

لزواجنا أن ينجح)) .

طعنة من الإحباط مزقت أحلامها . فهي

منذ أربعة أيام لم تكن

تفكر في المستقبل لأكثر من دقيقة واحدة .

لقد استمتعت بكل لحظة

أمضتها مع راوول , حتى أن حبها له ازداد

. كان يشعر بمرارة

الإحباط لأنه لم يستعد ذاكرته بعد , وتلك

الذكرى المحدودة التي

عاودته لم تزده إلا فروغ صبر , لكنه أظهر

ذكاء غير عادي في

مواجهته وضعه الجديد ما جعلها تدرك أكثر

من أي وقت مضى

مدى ثقته بنفسه وانضباطه . حولت

اهتمامها عن ملامحه البالغة

الوسامة , ثم تظاهرت بتأمل ما حولها . كان

يوماً رائعاً , و المناظر

من حولها مذهلة . كانا يجلسان في شرفة

مطعم خاص يقوم في

مكان مرتفع مشرف على بحيرة ((لوسيرن))

. كانت السماء الزرقاء

صافية و المدينة التي يعود بناؤها إلى القرون

الوسطى تمتد في

الأسفل .

. هيلاري . . ؟

لفت راوول انتباهها عابساً عندما اقترب منها

رجل كبير الجسم

أشقر الشعر جاد الملامح , ثم وقف على بعد

مترين منها قائلاً

بدهشة : ((راوول ؟)) .

نفض راوول وقد ارتسمت على وجهه تلك

الابتسامة لتحيته فيما

ذعرت هيلاري وهي ترى أن القادم هو ((

بول كوريرو)) الشاهد الوحيد

على زواجهما . تملكها الرعب و شلت

أطرافها وهي ترى المحامي

ينظر إليها بامعان . هذا رجل يعلم أنها

زوجة زائفة , وأنها أخذت

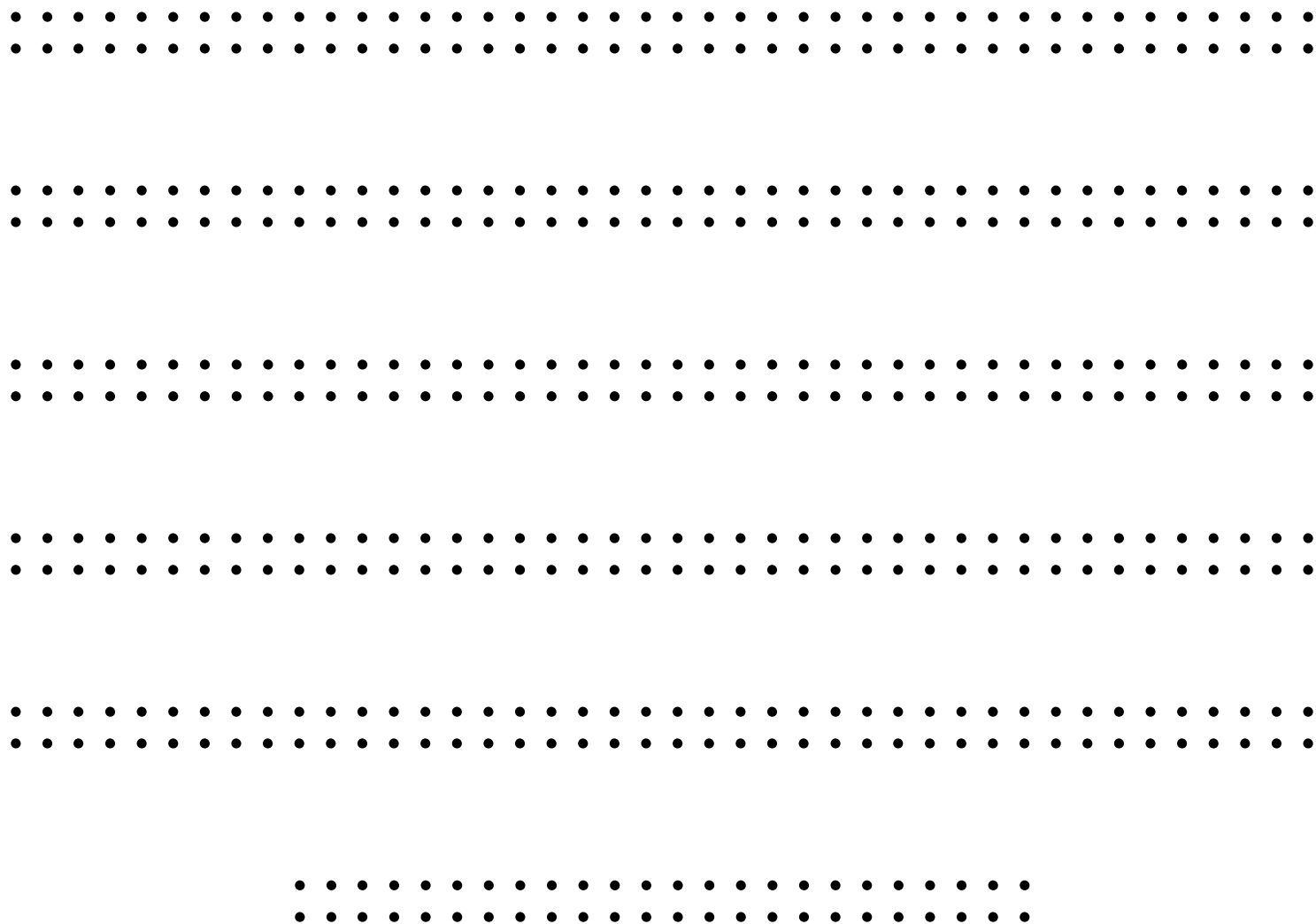
أجراً لتمثل دور العروس في القداس الزائف

. و لا بد أنه مدهوش

لرؤيتها في سويسرا برفقة راوول !

* * *

نهاية الفصل ((الخامس)) . . .



.6

لن أسامحك أبداً !

الإحساس بالخطر جعل قلبها يخفق بعنف
. وأخيراً , قررت أن

لا خيار أمامها سوى أن تستعمل الوقاحة
للخروج من هذه الورطة .

. أنا و آنيا نقيم مع بعض الأصدقاء .

. أنا و آنيا نقيم مع بعض الأصدقاء .

قال بول كيوريرو هذا لراوول الذي كان يقبل

وجنتي امرأة حامل

جميلة حمراء الشعر تقف بجانب محاميه .

التفت راوول برأسه المتغطرس إلى هيلاري

متسائلاً عما منعها

من مشاركته في تحية القادمين ، فنهضت و

العرق بتصبب منها وقد

رسمت على فمها المتوتر ابتسامة ، وتقدمت

نحوهما بساقين

كالخشب .

. هيلاري . . خسارة لندن مكسب لنا .

منحها بول كرويرو ابتسامة ناعمة أرسلت

رعشة في كيانها ،

و كادت تجفل لهذه السخرية . و وقفت
كمجرم ينتظر تنفيذ حكم
الإعدام فيه . لكن راوول , ولحسن الحظ ,
حول اهتمام محاميه عنها
بالحديث معه بصوت خافت . وعندما أخذ
الرجلان يتمشيان على بعد
أمتار , اقتربت رفيقة بول منها وقالت لها
وهي تقيمها ببرودة : ((أنا
آنيا زوجة بول)) .
نعم .

كانت هيلاري من التوتر بحيث لم تستطع أن
تفكر في أي رد

فعل على هذا التقييم العدائي .

اختلست نظرة إلى راوول و بول , وتساءلت
بفزع عما يتحدثان

عنه . وتملكتها رغبة ملحة في الهرب ,

فتمتعت معذرة ثم توجهت

نحو استراحة السيدات .

كيف يجرؤ بول وزوجته على النظر إليها

وكأنها مجرمة ؟ كانت

منزعجة ومعدتها تغلي . فتحت الماء البارد

على يدها بينما راحت

تكافح لتستعيد رباطة جأشها . ما قامت به

كان لمصلحة راوول .

لقد أحبطته تلك الهوة التي تفصله عن العالم

خمس سنوات ،

لكنه نجح في مواجهة الأمر تماماً ! ولكن هل

كان بول كوريرو يخبر

راوول في هذه اللحظة أن هيلاري وزواجهما

الظاهر زائفان ؟ خرجت

هيلاري من استراحة السيدات لتجد بول
كوريرو في انتظارها ،
فأصابها شحوب بالغ .
سألها الرجل الأشقر : ((ما هي لعبتك ؟
لقد أوضح لي راوول لتوه
سبب عدم ظهوره منذ حادث الاصطدام))
.
فقالت : ((يسرني أنه اتخذ شخصاً آخر
موضِعاً لثقتي)) .

وتساءلت هيلاري إن كان راوول يعلم الآن

أنها ليست بالزوجة

التي ادعتها , واعتصر قلبها .

قال بول كوريرو بصوت خافت خشن : ((

لا تعامليني وكأنني أبله .

رئيس فريق الأمن لدى راوول اتصل بي

في الأمس ليسألني

النصيحة . تصوري ذهولي عندما علمت

أنك جئت إليه في المستشفى

مدعية أنك زوجته السيدة ساباتينو ! هذا

اللقاء ليس صدفة , بل قطعت

إجازتي لكي أحضر إلى هنا . يمكنك أن

تؤذيه بهذا الشكل ((.

أخذت هيلاري ترتجف من احتقاره الموجه

هذا . هل ثمة فريق

أمن يعمل على حراسة راوول ؟ لقد كانوا من

الحذر و التحفظ بحيث

لم تعلم بوجودهم . وقالت : ((لم أقهم بما

يؤذيه . هل أخبرت راوول

الحقيقة عن زواجنا ؟)) .

فأجاب ساخراً : ((في المطعم ؟ أنوي أن

أزوره في القصر عصر

اليوم . . .)) .

أمسكت هيلاري بكمه متوسلة : ((دعني

أخبر راوول بنفسني .

أمنحني فرصة حتى الغد لأتدبر الأمر)) .

أندرهما بول كوريرو مظهراً عدم ثقته بها : ((

كلا . سأمنحك فرصة

حتى هذا المساء . وإذا لم تفي بوعدك ,

فسأقوم بذلك بدلاً منك)) .

احتاجت إلى قدر كبير من الشجاعة لتتمكن

من مواجهة نظراته

المتهمة وهي تقل : ((أنا لست كما تظني .

أنا أحبه و لطالما

أحبيته . . .)) .

فأجفل المحامي وقاطعها : ((اعلمي على أي

حل أنه لن يغفر قط

هذا النوع من الخيانة ((.

عادت هيلاري لتقف بجانب راوول ورأسها

يدور فيما كانت أنيا

تتوسل إليه أن يلقي خطاباً في حفل خيري .

انضم بول إلى زوجته

قائلاً إنهما تأخرا عن مواعدهما , فقطع راوول

حديثه وأمسك بيد

هيلاري يقودها إلى سيارته الليموزين وهو

يقول مقطباً : ((مزاج بول

غريب . لماذا بدا متضائقاً ؟)) .

فتمتت بضعف : ((آه , أنت تعرف بول
((.

. نعم . أعرفه جيداً , وهو لا يجيد قط فن

الخداع . أحسست

بنوع من عدم الاحترام في تعامله معك , ما

جرحني وأزعجني .

عذبها الشعور بالذنب لكنها لم تقل شيئاً . لم

تجد ما تقوله في

مثل هذه الظروف . كان راوول قوي

الملاحظة , وقد لاحظ عداء

محاميه . على أي حال , سيعرف راوول

الحقيقة قريباً ويفهم لماذا لم

يستطع بول كوريرو أن يخفي ازدراءه .

وتملكها مزيج من الخوف

و اليأس . كيف يمكنها أن تخبر راوول أن

زواجهما لم يكن حقيقياً ؟

كيف يمكنها أن تواجه هذا الأمر ؟

وعندما توقفت السيارة أمام صالون خاص

للتجميل , تذكرت

هيلاري أنها أخذت موعداً لتصفيف شعرها
بالأمس .

فررت التخلص من الأطراف الوردية لأنها
تضفي عليها مظهراً

صبيانياً نوعاً ما و تساءلت عما يجعلها غير
صادقة مع نفسها . لقد

اختارت اللون الوردي هذا لتبدو أكثر أناقة
أمام راوول . ولكن ما

الفائدة الآن ؟ و ما الهدف عندما تنهار

أسس عالم أحلامها ؟؟

. هيلاري ؟

قالت من دون أن تجرؤ على النظر إليه : ((

هل يمكننا أن ندور

بالسيارة لدقيقة أو اثنتين ؟) .

كانت من الاضطراب بحيث لم تستطع أن

تفكر بشكل منطقي ,

لكنها لم تشأ أن تترجل من السيارة وتتركه .

(الحقيقة مؤذية) . من هو صاحب هذا

القول ؟ ليس لديها فكرة .

كل ما تعرفه هو أنها , طوال الأسبوع الماضي

, حاولت أن تعيش

حلمها بكل حماقة . دفنت شكوكها

وتناست وخرز ضميرها

واستسلمت للحكايات الخرافية بادعائها أنها

زوجة راوول . كانت

سعيدة للغاية , سعيدة أكثر مما ظنت يوماً

أنها ستكون . . لأن الرجل

الذي تحب عاملها و كأنها زوجته . المشكلة

تكمن في أنها لم تكن

كذلك , تمنيات العالم كلها لا تستطيع تغيير

هذه الحقيقة .

لقد دمر بول كوريرو ادعاءها المحزن كما

عليها أن تدرك أن

عملها هذا سيعتبر عملاً أنانياً . لكنها لم

تقصد قط أن تؤذي أو تقلق

أحداً . كما أنها حاولت أن تخفف من

الضرر الذي لحق بحبيبها .

على أي حال ، مجرد ذكرى نظرة بول

كوريرو إليها جعلت العرق

البارد يتصبب منها . ذاك الحلم الجميل لم

يستمتع به سواهما ، هي

وراوول . وتملكها اضطراب هائل .

سألها راوول بشيء من فروع الضبر : ((هل

ستلغين ذلك

الموعد ؟)) .

كان حازماً للغاية ويمكنه أن يجيب على أي

سؤال عادي قبل أن

تنتهي من طرحه . ماذا سيكون شعوره نحوها

عندما يدرك أنه شجعته

على مشاركتها الحياة معها بكذبة ؟ أتراه

سيحتقرها لتصرفها هذا

كما لمح بول كوريرو ؟ هذه الفكرة آلتها

للغاية . لكنها بدأت تدرك

أكثر و أكثر أن ادعاءها هذا تجاوز الحد .

. ماذا ؟

. لا بأس . لقد قررت الآن أن أصف شعري

!

ونظرت إليه بضحكة مصطنعة .

بدا في عينيه اللامعتين مزيج من العجب و

فروع الصبر من

أسلوبها الغريب مقارنة مع طريقته في التفكير

. ترحلها من السيارة لم

يخفف عنها وهي تراه بهذه الروعة المدمرة . و

بحركة مفاجئة تقدمت

منه وقبلته بحرارة بالغة ثم تمتت و هي

ترتعش : ((كانت أياماً قليلة

رائعة . . .)) .

بعدئذ , اختطفت حقيبة يدها وخرجت من

السيارة قبل أن تربكه

و تربك نفسها أكثر .

في صالون الحلاقة , شعرت وكأن جداراً من

زجاج يفصلها عن

النشاط المألوف لديها . و شعرت و كأنها

فريسة صدمة . لقد أدركت

أخيراً لماذا كان ذهنها يكره أن يواجه الواقع

ويتقبله لكن الوقت حان

كي تخرج من حياة راوول مرة أخرى , كما

أن عليها أن ترحل

بسرعة . ما الهدف من العودة إلى القصر

لكي تخبر راوول بما

فعلت ؟ هذا سيعرضها لمواجهة غير سارة ,

فما مصلحة أي منهما في

ذلك ؟

قررت أنه من الأفضل أن تستقل الطائرة

على لندن مباشرة .

وكانت , لحسن الحظ , تحمل جواز سفرها في

حقيبة يدها . عندما

تنتهي من تصفيف شعرها يمكنها أن تتوجه

إلى المطار في لوغانوا .

لم تحضر معها إلى سويسرا سوى أثواب قليلة

وما ستتركه خلفها لن

يفتقده أحد . ستترك لراوول رسالة في سيارته

تشرح له فيها الأمر .

أليس هذا هو الصواب ؟ عندما يدرك حقيقة

ما فعلت . . سيذهل

ويغضب وربما سيعتبر نفسه محظوظاً لأنه

تخلص منها . وأي رأي

حسن قد كونه عنها ستحطم كلياً .

خنقت الدموع . لماذا ساءت الأمور إلى هذا

الحد ؟ في البداية ،

حاولت أن تساعد راوول وحسب لكنها

وبشكل ما تورطت إلى حد

جعلها تصم أذنيها عن نداء العقل . لقد
سمحت لنفسها بأن تجرفها
الأحلام . لكنها الآن , وعندما أصبحت
مكرهة على أن تتساءل عما
سيكون عليه رأيه في سلوكها , أدركت أنها
تجاوزت حدود الصدق
و المنطق . أزعجتها هذه الحقيقة لأنها لم
تتعود قط أن تنكر
أخطاءها . لكنها ستلقى أسوأ عقاب
بالنسبة إليها , وهو حقيقة أنها

لن ترى راوول مرة أخرى . . .

** ** *

. ألم تأخذي فترة راحتك بعد لتأكلي شيئاً ؟

طرحت سالي هذا السؤال على هيلاري التي

كانت تضع مجموعة

من المناشف الحائلة اللون و المغسولة حديثاً

على الرف خلف

المغسلة , فأجابتها : ((لست جائعة . . .

((.

. حسناً , يفترض بك أن تجوعي . لا يمكنك

أن تعلمي طيلة

هذه الساعات ومعدتك فارغة . تبدين متعبة

للغاية .

كانت زميلتها في الصالون تتحدث إليها وقد

بان القلق على

وجهها الحنون .

. كفى قلقاً علي . أنا بخير .

وأحنت هيلاري رأسها ثم مضت تكمل
عملها بنشاط واهتمام
بالغين وكأن حياتها كلها تعتمد عليه . في
الواقع , كانت حياتها كلها
تعتمد بشكل عام على العمل , وذلك لكي
تحول أفكارها عن
الماضي المؤلم . كانت تعلم أن الضلال تحيط
بعينيها وأنها تبدو في
حالة سيئة . لقد فقدت شهيتها على الطعام
كما لم تعد تنام جيداً .

كانت تعيسة للغاية لكنها حاولت أن

تتصرف بشكل طبيعي و أن

تستعيد حيويتها .

ما حدث قد حدث , و مر أسبوعان على

مغادرتها سويسرا . بقي

راوول محور عالمها مدة سبعة أيام , لكنه لم

يعد كذلك الآن ولن

يعود , وعليها أن تتعود على هذا الواقع . ما

هي عليها تقبله هو أن

ما عاشته مع راوول , كان زائفاً , غير حقيقي
. وما كان هذا الدرس

أقسى ما عليها أن تحمل .

قالت سالي بصوت خافت : ((موعداك

للساعة الحادية عشرة

حضر . . وهو شديد الوسامة . . يا لك

من محظوظة . . .)) .

رفعت هيلاري رأسها لتجد راوول يقف وسط

القاعة . ارتجفت

يدها فارتجت زجاجة الشامبو الكبيرة التي

تحملها وأخذت تنسكب

في المغسلة .

تملكها اضطراب بالغ وهي تراه أمامها ,

فشهقت بصوت مرتفع ,

وتسمرت عليه عيناها الزرقاوان بلهفة بالغة .

كان يرتدي بذلة كحلية

بالغة الأناقة تبرز قامته الرائعة , وهو يميل

برأسه المزهو جانبا , بينما

أعين الموجودين في المكان مركزة عليه
متفحصة . كان ينظر إليها
بعينه الذهبيتين الداكنتين , مواجهاً نظراتها
المستمرة عليه , وهو يتقدم
نحوها بخفة وليونة الفهد .

همست : ((هل أنت موعدي للساعة
الحادية عشرة ؟)) .
أوماً بالإيجاب وأخذ يتأمل جسمها المتيبس
مما جعل الاحمرار

يعلو وجنتيها . كانت ترتدي قميصاً أبيض

مقفلاً وبنطلوناً أسود مقلماً

وتنتعل حذاء يبلغ ارتفاع كعبيه الدقيقين

حوالي تسع سنتيمترات .

هذا التأمل الساخر جعلها واعية بشكل

محموم لجسدها ومعرفته

الحميمة به . ومع ذلك لم ينظر إليها قط من

قبل بمثل هذه الطريقة .

لاحظت أن ثمة اختلافاً فيه لكنها لم تدرك

ماهيته . كل ما أدركته هو

أنها شعرت بالخجل .

قال بلطف ورقة : ((علينا الذهاب إلى

مكان يمكننا أن نتحدث فيه

على انفراد)) .

لسبب لا تفهمه شعرت بدمها يجري بارداً في

عروقها .

تمت تجيب وقد تملكها الجبن : ((أنا . . .

أنا في العمل)) .

. حسناً , لا أظن أن لديك مشكلة في أ

يسمع زملاؤك وزبائنك

ما سأقوله لك .

و أكمل كلامه بالإنكليزية وقد بدت الصلاة

على وجهه : ((و سأبدأ

بالقول إن عملك , الذي أتذكر أنك أسسته

بنقودي , لا يهمني)) .

كادت تنكمش حيث تقف , لكنها بعد جزء

من الثانية ارتجفت لما

عناه الكلام الذي كان يقوله . إذا تذكر

راوول ما اتفقا عليه من

ترتيبات , فهذا يعني أنه لم يعد يعاني من
فقدان الذاكرة . يبدو أن
راوول استعاد ذاكرته منذ تركت سويسرا ,
فتذكر السنوات الخمس
الماضية , تماماً كما تنبأ طبيبه .
و ارتجفت بقوة وهي تدرك أن راوول يتذكر
الآن كل ما حدث
بينهما .
توترت أعصابها , فالتفت إلى سالي تسألها إن
كان بإمكانها أن

تحل مكانها حتى وقت الغداء . وقالت

لراوول : ((يمكننا أن نتحدث

في الطابق العلوي . متى استعدت ذاكرك ؟

((.

. بعد أن اختلفت . ولا بد أن هذا ساعد في

ذلك . علي أي

حال , جعلتني أعيش حياة هي ليست حياتي

.

وكانت جملته الأخيرة ساخرة , فشحب

وجهها من تلك السخرية

الخالية من الإحساس . وفتحت باب شقتها

: ((يدهشني حضورك . لم

أكن أظنك ترغب في رؤيتي مرة أخرى)) .

ساد الصمت بينما أغلق راوول الباب خلفه

. كانت الردهة ضيقة

ومعتمة . و قاداته هيلاري منها إلى غرفة

جلوس ومطبخ في الوقت

نفسه . أخذ يتأمل الأثاث الرث , ومظهر

الحقارة في المكان بشكل

عام فبدا النفور على ملامحه .

. أنت أفقر مما تصورت , وهذا المكان قدارة

. عندما اتصلت

بك عمتي بوتيسا و أنا في المستشفى , لا بد

أن الإغراء تملكك

للاستفادة من المحنة التي تعرضت لها .

فقلت وهي تصر بأسنانها غضباً لهذه التهمة

: ((هذا غير

صحيح . كيف يمكن أن تقول شيئاً كهذا ؟

كل ما كان يشغل بالي هو

حالتك الصحية . بالله عليك , ظننتك

ستموت ((.

راح راوول يقرأ رسالة وجدها على الطاولة

فأجفل : ((هل أنت

مديونة ؟)) .

شعرت بالخرج وهي ترى أنه قرأ رسالة من

المصرف تطالبها برد

المبلغ الذي سحبته زيادة عن حسابها ,

فانتزعت الرسالة من يده :

((اهتم بشؤونك فقط)) .

قال برقة لاذعة : ((كل ما يخصك يخصني

أيضاً . ومعرفتي بهذا

تمنحني شعوراً طيباً)) .

لم تستطع أن تفهم ما الذي يهدف إليه .

على أي حال , حصرت

على أن تدافع عن نفسها ضد اتهامه لها بأنها

ذهبت إلى سويسرا كي

تستفيد من ثرائه وتعيش على حسابه .

قالت : ((دعني أشرح لك لماذا أنا مديونة .

لقد أنفقت مبلغاً كبيراً

إلى سويسرا , ودفعت مبلغاً لزميلة لي لتحل

مكاني أثناء غيابي .

وميزانيتي لا تحمل هذا التبذير .

رفع حاجبيه الأسودين من دون أن يتأثر : ((

هل الفقر هو العذر

الوحيد الذي دفعك لاغتنام الفرصة لإتمام

زواجنا ؟)) .

وانقبضت يداها : ((أنت من أصر على

ذلك . .)) .

كانت سخرته واحتقاره أشبه بسكين طعنها

في الصميم .

وتابع يقول : ((أنت ممثلة غشاشة . كنت

تعلمين تماماً ما تفعلين .

بإتمام زواجنا يمكنك أن تطالبي بمبلغ كبير ثمناً

للطلاق)) .

بدا عليها الشحوب , وتملكها شعور تعيس

بالمذلة و الإهانة

لشكوكه هذه . قالت : ((لن أطلبك بشيء

, سواء الآن أو في أي

وقت آخر . لا أفهم لماذا تظن بي كل هذا .
هل ارتكبت جريمة حين
رغبت في رؤيتك بعد أن سمعت بما أصابك ؟
أخبرتكَ في رسالتي
أنني آسفة
أطلق ضحكة ساخرة جعلتها تجفل : ((
رسالتك بأسطرها الأربعة ؟
حتى فيها لم تستطيعي أن تخبريني الحقيقة أو
تعترفي بخداحك لي .

لقد اختلفت من دون أن تتركي أي تفسير .

((. . .))

. عندما أردت أن أفعل هذا , لم أجد ما

أكتبه .

. لم ترغبي في أن تخبريني أنني كنت أعاشر امرأة

غشاشة

كذابة .

هتفت به غاضبة مجروحة الكرامة : ((لا

تصفني بهذه الأوصاف)) .

. كنت ممثلة جيدة , يا جميلتي .

و تعلقت عيناه الحاققتان بنظراتها المعذبة من
جون أن يتأثر : ((لقد
عرفت الطريق إلى قلبي . . طيلة الأسبوع
كنت تحولين ذهني عن أي
سؤال محرج أوجهه إليك)) .
لشدة ألمها , أمسكت بفنجان على المائدة
وقذفته به : ((لم يكن
الأمر بهذا الشكل , ولم أتصرف على هذا
النحو)) .

بقى جامداً مكانه بشكل مزعج , وكان

ابتعاده عن طريق ما قذفته

به يجرح كرامته . واكتفى بأن رفع حاجبه

عندما اصطدام الفئجان

بالجدار قائلاً : ((عندما تخرجين تصبحين

كالأطفال لكن هذا لن

يذيب الثلج الذي بيننا . . ولا حتى الدموع

.))

فصرخت به بأعلى صوتها : ((لن أبكي من

أجلك ! عليك أن

تعذبني لكي ترى الدموع !)) .

فقال عابساً ((الدموع تضايقني و كذلك

المواقف العاطفية

والأواني الطائفة في الغرفة . دعي عنك هذا

حالياً . لكن إذا تصرفت

بغباء أمام الناس مرة أخرى , سأغضب

منك للغاية)) .

تصاعد توترها ما جعل حاجبها يخفق بألم :))

أتصرف بغباء ؟ ومرة

أخرى ؟ ما الذي تحدث عنه ؟)) .

أخرج شيئاً من جيب سترته الداخلي وألقاه

أمامها على المائدة

لتراه . كانت قصاصة من مجلة .

وتملكها الذعر وهي ترى صورة المرأة التي

انهمرت الدموع على

وجهها التعيس . إنها صورتها , وقد التقطت

لها في ذلك اليوم الأخير

في سويسرا عندما كانت في المطار في لوغانو

لكنها لم تلاحظ

المصور . رأّت تحت الصورة أسطر عدة

بالفرنسية .

فسألته : ((ماذا تقو الأسطر هذه ؟)) .

فترجم لها وهو يصرف بأسنانه : ((. . كل

تلك الأموال وما زالت

تعيسة)) .

شبكت ذراعيها على صدرها : ((حسناً ,

أنا آسفة إذا أخرجتك ,

ولكن هذا يثبت أنني كنت حزينة للوضع

الذي أصبحنا فيه . .)) .

ألقى عليها نظرة كالثلج : ((أصبحنا ؟

ومن أوصلنا إلى ذلك

الوضع ؟ من ادعت أنها زوجتي ؟ من كذبت

لتجد طريقاً إلى بيتي

وثقتي ؟ ((.

ارتجفت وأفلتت ذراعيها وقد التمع في عينيها

التوسل والإحباط :

((اسمع . حاول أن تفهم أنني اهتممت

بالأمر أكثر مما يجب . عندما

ذهبت إلى سويسرا كنت أظن أن حالتك

خطيرة فشعرت أنني أريد أن

أراك . كما أنني صدقت أنك سألت عني . .

. ((.

. ما الذي يجعلني أسأل عن امرأة لم أرها

منذ حوالي أربع

سنوات ؟ امرأة لم تكن تعني لي شيئاً ؟ كيف

أسأل عن أي شخص

وأنا غائب عن الوعي ؟

حللت هذه الحقيقة في سرها فبانت خيبة

الأمل على وجهها .

نعم , هذا غير معقول فعلاً . هل عمدت

شقيقتها إلى إخبارها بكذبة

بيضاء . أتري إيما اختلقت ذلك في محاولة

ساذجة منها لتشجع

أختها الكبرى على السفر إلى سويسرا لتكون

مع زوجها ؟

لكن وقبل أن تنتهي من تحليل هذا الاحتمال

, عاد صدى كلمات

راوول منذ لحظات , يدوي في أذنها بقسوة :

(امرأة لم تكن تعني لي

شيئاً) هذا ما قاله . هذه فكرته عنها . لم

تكن تعني شيئاً بالنسبة إليه .

حسناً . . ما الذي كانت تتوقعه ؟ حناناً

وعطفاً ؟ لفترة قصيرة لا تتعدى

الأسبوع جعله ادعاؤها يعتقد أنه يحمل لها

بعض المشاعر , فتصرف

على هذا النحو . لكن ذلك الوقت الجميل

انتهى الآن .

وإذ صممت على ألا تكشف له عن مدى

شعورها بالألم ،

جاهدت لكي تعود إلى النقطة التي كانت

تنوي أن تتطرق إليها قبل

أن يطعنها في الصميم بقوله العفوي الصادق

. قالت : ((حذرنى

الدكتور ليرذر من أن أخبرك بما قد يزعجك .

..)) .

. لهذا تركتني أظن نفسي متزوجاً ؟ ألم يخطر

لك أن هذا الخبر

مزعج للغاية لرجل يستمتع بعزوبيته ؟

. أظنك ستقدر حريرتك الآن بعد أن أدركت

أنك لم تفقدها

قط . .

قال وقد امتلأت عيناه احتقاراً : ((أنا لم

أفقد حريري بل أنت

سرقته مني . ادعيت أنك زوجتي حتى

سرت الشائعات بأنني

متزوج , قلم أستطع إنكار ذلك , كما أن

الصحف نشرت صورة

لك)) .

اغرورقت عيناها بدموع الندم : ((لا بد أن

هذا سبب لك إحراجاً

بالغاً . . .)) .

فقاطعها بجفاء : ((أنا لا أشعر بالخرج

بسهولة)) .

فتمت بتعاسة : ((لا أظنك تدرك مدى

أسفي)) .

. الأسف لا يكفي لإرضائي . أنت أردت

حقاً أن تكوني

زوجتي .

بدا الحرج على ملامحها , فنظر إليها ساخراً :

((كنت متلهفة لأن

تصبحي زوجتي فاستعملت الكذب و الخداع

لذلك)) .

تملكها شعور بالعار و الغضب لإذلاله لها

بهذا الشكل : ((أعرف

أن تصرفي يبدو سيئاً , ولكن . . .)) .

فقاطعها : ((لن أصغي إلى عذابك .

تصرفك يبدو سيئاً لأنه سيء .

لقد حولت حياتي الرائعة التنظيم إلى حياة

تافهة عقيمة . طردت

عشيقتي من أجلك . . . ((.

فحملت فيه : ((فعلت . . . ماذا ؟)) .

. تلك السمراء الرائعة . كانت عشيقتي لكنني

هجرتها لأنك

جعلتني أظن نفسي رجلاً متزوجاً .

أغمضت هيلاري عينيها : السمراء الرائعة .

كيف سمحت لنفسها

أن تعتقد أن رجلاً مثل راوول ليس لديه امرأة

في حياته ؟ حينذاك ،

لم تشأ أن تتقبل فكرة أن في حياته امرأة لأن

قبولها هذا سيضعف

موقفها . أليس هذا هو السبب الذي جعلها

تفترض أن راوول حر من

أي ارتباط ؟ كيف تصرفت بهذه السذاجة

و الأنانية ؟ لقد أفسدت

حياته , وعذبها الشعور بالذنب و الخجل ,

وإذا به يقول : ((بسببك

أصبح سريري خالياً و عليك أن تملئيه مرة

أخرى)) .

. ماذا تقول ؟

وقطبت هيلاري جبينها عاجزة عن الفهم .

. ستعودين معي إلى سويسرا .

فبدا عليها الدهول : ((و لماذا أفعل ذلك ؟

((.

. أنا لا أترك لك أي خيار . هل أعطيتني أي

خيار حين أخبرتني

أنني متزوج ؟

شحب وجهها وكأنها أصيبت بصدمة ,

وجنبت نظراته : ((لا

أستطيع أن أجد سبباً يجعلك تطالبني

بالعودة معك إلى

سويسرا . . .)) .

. أريد أن أستغلك كما استغلّيتني , ثم ألقى

بك بعيداً عندما

يتملكني الملل منك . هل هذا يوضح الأمر

؟

كانت ملامحه القوية قاسية وواجه نظراتها

المذهولة بثبات .

أطلقت هيلاري ضحكة صغيرة فيما راح

رأسها يدور : ((أنت لا

تعني ذلك . . .)) .

. تدبرت أمر تناول الغداء مع أختك .

وعليك أن تبدئي بحزم

أمتعتك .

جمدت هيلاري مكانها : ((كيف يمكننا أن

نقابل إيما بعد الغداء ؟

إنها في مدرسة تبعد عن لندن أميلاً عديدة))

.

. أثناء كلامنا هذا تكون سيارة تنقلها إلى هنا

لهذه المناسبة .

. ولكن كيف . . أعني لماذا قمت بهذا

الترتيب ؟

. لدي أسباب ممتازة . أتظن أنك

الوحيدة التي يمكنها أن تقوم

بحيل قدرة ؟ إنني أستاذ في المناورات , يا

جميلتي . إيما تظننا

مستمتعين بالمصالحة وهي منتشية بهذا الخبر .

لذا , عليك أن تبسمي

على الدوام و تكثري من الأحاديث التي

تحسينها لكي تجعلها

سعيدة . .

جمدت هيلاري مصدومة , ثم قالت : ((و

كيف استطعت الاتصال

بشقيقتي ؟)) .

. لقد اتصلت بي في بيتي هذا الأسبوع ,

واعتذرت لي بشكل

مؤثر عن موقفها العدائي في بداية زواجنا .

. آه . . لا . .

وتأوهت هيلاري بفرع امتزج بالشعور

بالذنب لأنها أدركت أن

الذنب ذنبها في اتصال إيما براوول . فمند

عودتها من سويسرا , لم

تتحدث هيلاري إلى أختها إلا عبر الهاتف

متجنباً أسئلة أختها عن

علاقتها براوول . لم تستطع أن تخبرها الحقيقة
لكنها لم تستطع أيضاً
أن تكذب عليها . وتابعت تقول :
. منذ البداية لم أستطع أن أعترف لها بسبب
زواجنا , لأنني
كنت خائفة . . خائفة للغاية . . .
. لئلا تفقد احترامها لأخت تزوجت رجلاً من
أجل المال ؟
سيرحك أن تعلمي أنني تركت أوهامها عنك
كما هي . أخبرتني عن

مدى تكدرها و هي ترانا نفصل مرة أخرى

وسألني إن كان الذنب في

هذا ذنبها هي .

. وماذا قلت لها ؟ أنا تصالحنا ؟ أليس هذا ما

قلته منذ لحظات ؟

. قلت إننا تصالحنا فعلاً , و لكن بشروطي

أنا . إذا أصبحت طرفاً

في انتقامي , فلا تلومي سوى نفسك .

. أنت تظني امرأة كاذبة مخادعة فظيعة . . .

وسأكون مجنونة لو

رافقتك إلى أي مكان .

. هذه ليست مشكلة فلا تقلقي لذلك .

سأصطحب أختك وحدها

إلى الغداء و أخبرها بكل تفاصيل علاقتنا

غير السارة من البداية حتى

النهاية . . .

. تصرفك هذا سيكون في منتهى اللؤم .

قال عابساً قبل أن يغادر الغرفة : ((سأكون

قد قلت الحقيقة ليس

إلا , علي عكسك أنت . يريحني أن أراك

قد أدركت حقيقة أن

تصرفك كان لا يغتفر ((.

ركضت هيلاري في أثره وهي تهتف : ((إذا

أردتني أن أعفر وجهي

بالتراب , فسأفعل , ولكن لا تورط إيما في

هذا . . . ((.

فنظر إليها ساخراً : ((تعفير الوجه هو

للفلاحين فقط . ولا بد أنك

عرفتني جيداً لكي تعلمي أنني إذا أردت شيئاً
، فسأحصل عليه .

ستتعلمين كيف تكونين زوجة ساباتينية ، و

ستوفرين علي الوقت

و الجهد اللذين سأبذلهما في العثور على

خليلة أخرى بأن تلعبى هذا

الدور شخصياً

فصرخت في وجهه : ((لا سبيل إلى ذلك))

.

. لكنك بذلت جهدك لتنالي هذه الصفة .

و عاد إلى الباب الأمامي يفتحه : ((من

المؤكد أن الأمر يستحق

محاولة ثانية)) .

فقلت : ((لن تجرؤ على أن تخبر إيما بما

فعلته)) .

. بل سأفعل . . .

. لكن هذا العمل لن يفيدك بشيء . فلم

هذه القسوة ؟

. لأن هذا ما تستحقينه .

وتأملها بكآبة ثم قال بعنف : ((بخداك

, جعلتني أشترى لك

خاتم زواج . وقبل أن أعود فأطردك من

حياتي , سأثأر لنفسي)) .

. أنا لم أخدعك . . . لم أفعل هذا .

لم يبد عليه أنه سمعها إذ قال : ((ستصل

السيارة الليموزين بعد

ساعة ونصف لتأخذك إلى الفندق حيث

سنتناول الغداء مع أختك

إيما . سأقابلك هناك لكنني سأتصل بمكتبي

في لندن أولاً)) .

تملكها الذعر : ((إذا تركت عملي مرة

أخرى , فسيكون في ذلك

إفلاسي و لا يمكنني هذا لأن . . .)) .

فنظر إليها بازدراء : ((سأسدد ديونك . .

.)) .

أشاحت بوجهها : ((إنها مئتان وخمس

وخمسون جنيهاً دفعتها

أجراً للطائفة . . . لا بأس , إنه دين علي

و لكن كفى كلاماً

وكأن . . . ((.

. إنني صاحب مصرف , وسحب مبلغ أكبر

من الرصيد هو

دين . . .

. لا يمكنك أن تفعل هذا بي , يا راوول .

ودفعها اليأس إلى اللحاق به إلى فسحة

السلام وهي تتابع : ((إذا

تركت لندن , فمن سيحل مكاني في غيابي ؟

((.

. استخدمي مديرة . . . وسأدفع أنا النفقات

. . . .

بمزيج من الإحباط وعدم التصديق ,

أخذت تنظر إليه وهو يهبط

السلم , ثم قالت : ((إذا ما هدتني بعلاقتي

بأختي فلن أسامحك

أبداً)) .

نظر إليها بلامح كئيبه غامضة قائلاً : ((

أتظنين أن هذا يهمني ؟)) .

جمدت مكانها ثم استدارت إلى الجدار

خلفها وهي تتنفس بعمق

لتهدئة نفسها . لعله مسرور بتهديدها

بكشف كل شيء لأختها . لا

يمكنها احتمال هذه المجازفة . ظنت أن أختها

قد تفهم السبب الذي

جعلها توافق على زواج كهذا منذ أربع

سنوات عندما كانت حياتهما

كئيبه للغايه , لكنها ستجرح بشكل بالغ بعد
أن جعلتها هيلاري تعتقد
أن زواجهما حقيقي . وكيف ستفسر إيما
سلوك هيلاري الآن ؟ هل
سيدع راوول إيما تدرك أن أختها أتمت زواجها
هذه المرة ؟ و تملك
هيلاري الرعب من فكرة أن تستعرض فشلها
أمام أختها الأصغر ,
بينما يفترض بها أن تكون مثلاً لها , لا أن
تخطئها .

اختار راوول بدقة قاسية تهديداً قادراً على

أن يجعلها رهن

مشيئته .

* * *

نهاية الفصل ((السادس)) . . .

.....

.....

7.

في أحلامك !

احتضنت إيما هيلاري بحماسة بالغة , وهي

تقول : ((عندما أدخل

الجامعة بعد العطلة الصيفية , لن تريني كثيراً .

وكنت قلقة عليك لما

ستعانيه من وحدة . هل هذه أنانية مني ؟ ((

أجابتها هيلاري لا بتسامة متألفة بقدر ما

استطاعت : ((كلا

بالطبع)) . الحياة بعيداً عن المنزل جعلت

إيما ذات شخصية مستقلة .

ورغم أن هذا يؤلمها أحياناً , إلا أن إيما

أصبحت أكثر قدرة على

الحكم على الأمور ، ما جعل هيلاري مزهوة
بها للغاية .

قال إيما راوول بجد : ((هيلاري بحاجة إلى
شيء من المرح .

لقد ضحت بالكثير من أجلي ، المنحة
الدراسية لا تغطي سوى جزء
من النفقات ، فكانت هيلاري تدفع البقية ؛
ولهذا السبب تجدها

مفلسة دائماً . عندما أدركت كم كانت
دراستي تكلفها ، حاولت أن

أقنعها بأن تنقلني)) .

فقلت هيلاري تقاطع هذا السيل المربك

من المعلومات

الشخصية التي تقدم لراول مجاناً : ((كانت

نتائجك جيدة حيث أنت

وهذا هو المهم . إيما تريد أن تصبح محامية في

القضايا الدولية وهي

ماهرة جداً في اللغات)) .

تحدث راوول إلى أختها بالفرنسية فأجابته

بهدوء ومن دون غلط .

كان الاثنان يتميزان بذلك الشعور بالثقة
بالنفس الذي طالما حسدت
هيلاري الآخرين عليه . وبعد الغداء ,
أجاب راوول على اتصال
هاتفي فانفردت هيلاري بأختها لدقائق .
كانت إيما تنوي العودة إلى
المدرسة لتراجع دروسها قبل أن تقدم
الإمتحان النهائي . وعندما
تنتهي سنتها الدراسية , ستسافر إلى أسبانيا
لتقيم مع أسرة صديقة

لها . وبعد أن ودعت هيلاري أختها ,

صعدت على سيارة راوول وهي

تقول : ((لم أنته من توضيب أمتعتي بعد ,

لهذا أريد أن أعود إلى

شقتي)) .

فنظر إليها بخشونة : ((ليس لدينا وقت))

.

فرفعت رأسها متحدية : ((ليس لديك وقت

إنما أنا لدي)) .

. سأؤجل موعد سفرنا إلى وقت لاحق من

هذه الليلة . . .

فقلت بفتور : ((هذا ليس ضرورياً . إنني

بحاجة إلى مزيد من

الوقت لكي أنظم أموري . أفضل السفر غداً

((.

أخذ يتأمل جانب وجهها المتمرد : ((لن

أترك لندن من دونك)) .

. لا أريد أن أذهب إلى سويسرا .

فتمتم بصوت أجش : ((كاذبة)) .

. ماذا تعني ؟

مر بإصبعه على شفتها السفلى الممتلئة

فشعرت برعشة واختنقت

أنفاسها في حلقها .

قال بنعومة : ((أريني مدى كراهيتك لي يا

جميلتي)) .

ورغم رغبتها في مقاومته , إلا أنها وجدت

نفسها تميل نحوه .

وعندما ضمها إليه , أصبحت كالنار بعد

أن كانت كالثلج , وراحت

تشتتم رائحته المألوفة التي امتزجت فيها رائحة

رجولته برائحة محلول

بعد الحلاقة المثير للغاية .

. أنت لست جادة في المحاولة .

. محاولة ماذا ؟

كان ذهنها خالياً تماماً , وصوتها أجش وهي

تجاهد لكي تتكلم .

رفع حاجبه ومر بإصبعه على خدها فأخذ

قلبها بخفق بعنف ,

وشعرت برأسها ثقيلًا فأرجعته إلى الخلف بعد

أن اشتعلت فيها نيران

الرغبة .

وفجأة ابتعد عنها بشيء من السخرية ,

فاحمر وجهها , وانقبضت

يداها . أرادت أن تضربه , أن تشتمه ,

لكنها تمكنت من لجم نفسها

في الوقت المناسب . كانت مجروحة لشعورها

بالعجز . كيف تملكها

مثل هذا الضعف ؟ إذا ما استمرت في تقديم

نفسها له على طبق ،

فسرعان ما سيدرك أنها غارقة في حبه . وهذا

أسوأ ما قد يحصل

و أكثر الأمور إذلالاً ؛ لذا من الأفضل أن

يعتبرها باحثة عن الثروة .

توقفت لسيارة أمام صالون الخلاقة ، فنزلت

هيلاري منها

بسرعة . كانت سالي بحاجة ماسة إلى فرصة

استراحتها فحلت

هيلاري مكانها , حتى حان وقت إقفال

الصالون . وقد وافقت سالي

على إدارة الصالون ما دام لديها مبلغ كافٍ

للطوارئ يمكنها من

استخدام بديلة لهيلاري قادرة على مساعدتها

. تملك هيلاري

الارتياح بعد أن اطمأنت إلى أنها تركت العمل

بين أيدي أمينة .

وبعد أن راجعت الحسابات مع سالي ,

عادت إلى شقتها لتنهى

حزم أمتعتها .

عند الساعة مساءً , قرع جرس الباب فظنت

أن الطارق راوول ,

إلا أنه لم يكن هو بل ((غاريث)) وهو

مهندس خرجت معه مرتين في

الماضي ليصبح بعدئذ صديقاً لها .

. يعجبني شعرك كثيراً .

وضحك وهو يشعث شعرها بأطرافه السوداء

اللامعة التي بدت

مناقضة تماماً مع لون شعرها الأشقر الفضي .

. هل أعجبك ؟

ومنحته ابتسامة عريضة , إذ أن راوول لم

يلاحظه أبداً . في

الحقيقة , لم يكن هذا مهماً لأن اللون الأسود

اللامع سيزول حالما

تغسل شعرها .

. أتخبين أن تخرجي معي الليلة ؟

وإذا بصوت يتعالى من فسحة السلم فيما هو

يتقدم منها عابساً :

((لدى هيلاري موعد آخر)) .

فقال غاريث بوقاحة : ((هل أنت سكرتيرها

. . أو من هذا

القبيل ؟)) .

فأجاب راوول ببطء : ((أنا زوجها)) .

احمر وجه غاريث , وأسرع ينزل السلم إلى

الأسفل , وأدركت

هيلاري أنه لن يقف على عتبة بابها مرة

أخرى , فرمقت راوول بنظرة

تعريف غاضبة لتدخله : ((كان هذا غير

ضروري أبداً . . .)) .

فواجهها بنظرة عدم موافقة : ((كنت

تغازلينه . . .)) .

. لا , لم أكن أغازله . وحتى و فعلت , ما

شأنك أنت ؟

وبصعوبة بالغة تمكنت هيلاري من التحكم

بأعصابها عد أن رأته

سائق راوول قادماً لينقل حقائبها .

قال راوول بصوت خشن منخفض : ((كنت

تنتظرين هذا الشاب

الليلة ولهذا أردت تأجيل السفر إلى الغد)) .

كانت تهم بنزول السلم , لكنه جعلها تشعر

وكأنها تضاهي

سحراً هيلين ملكة طروادة التي دارت من

أجلها الحروب , فتألق

وجهها : ((أنا فتاة ذات دم حار ,

وسيتوجب عليك أن تراقبني ليلاً

نهاراً في سويسرا . هل أنت واثق من أنني

أستحق هذا الجهد ؟)) .

ومن دون سابق إنذار , أمسكها من كتفيها

ودفعها إلى جدار

فسحة السلم . حدث هذا بسرعة ما شئت

ذهنها وجعلها تشفق :

تأملت عيناه البرونزيتان الملتهبان وجهها

المجفل بتحذير عاصف :

((هل لاحظت شيئاً ؟ أنا لا أضحك .

حذار ! إذا رأيتك تغازلين رجالاً

آخرين , فلن أكون مسروراً)) .

جف فمها , وتملكتها إثارة خطيرة لعنفه هذا

: ((كنت أمزح

فقط . . .)) .

. هذا ليس مضحكاً .

ولمعت في عينيها روح النكتة : ((على الأقل

غاريت لاحظ أنني

أصبغ أطراف شعري باللون الأسود . . .))

. إنه من النعومة بحيث لم يخبرك أنك تبدين

أشبه بالقنفذ .

وتركها لينزل السلم . أخذت نفساً ممزقاً

وهي تتأمله . قنفذ ؟

وتملكها شعور بالإهانة . وفيما كانا يسيران

في المطار لم تستطع أن

تمنع نفسها من النظر إلى صورتها في واجهات

المتاجر التي تمر

بها , كما لم تستطع أن تمنع نفسها من

ملاحظة قصر قامتها وامتلائها

بجانب قامته الطويلة الضامرة . وقفا ينتظران

الصعود إلى طائرة

راوول النفاثة الخاصة , فرن هاتف هيلاري

الخلوي , وجاءها صوت

صديقتها بيبا , فابتعدت عن راوول لتكلم

على انفراد .

كانت بيبا و زوجها أندريو دالسيو يعيشان

في إيطاليا . وكانت بيبا

تخبر هيلاري أنها وزوجها قادمان إلى لندن

لتمضية عطلة نهاية

الأسبوع , وأنها متشوقان للقاءها . لكن

هيلاري ردت بأسف : ((أنا

أحدث إليك من المطار أثناء انتظاري الطائرة

التي سأستقلها إلى

سويسرا . كما أن من حقلك أن تستائي مني

لأنني أخفيت عنك سراً .

أنا متزوجة . . .)) .

. متزوجة ؟ لا أصدقك !

. لا , بل عليك أن تصدقيني , فهو يقف

بجانبي يستمع إلى

الحديث . لكن قصة زواجنا هي . .

ونظرت إلى راوول متحدية , وإذا به ينتزع

الهاتف من يدها بسرعة

جعلتها تفغر فاهها , بينما أكمل كلامها : ((

قصة خرافية كلياً . أنا زوج

هيلاري . . . و أنت ؟ . . .)) .

أخذت هيلاري تدور حوله ثائرة , بينما هو

يثرثر مع صديقتها , ثم

أنهى الحديث بإعلانه أن طائرتهما وصلت .

هتفت وهي ترتجف غضباً : ((كيف تجرؤ))

.

رافقها إلى الطائفة و هو يقول ساخراً وعيناه

على وجهها : ((لم

تتركي لي خياراً , فقد كنت على وشك أن

تبوحى , بثرثرتك , بكافة

الأسرار)) .

فقلت و هي تصرف بأسنانها : ((أنا لا

أثرثر)) .

. يمكنك أن تثرثري في إنكلترا من الهاتف

العمومي و في

الطائرة .

سارت هيلاري إلى قاعة مترفة واختارت

أبعد مقعد رآته عن

راوول , فقد ثارت ثأرتها لتدخله في مكالماتها

الهاتفية ثم اتهامه لها

بالثرثرة . كم هو جريء !

وعندما ارتفعت الطائرة وتركهما المضيف

بمفردهما , سمعت

نفسها تقول له : ((من تظن نفسك ؟)) .
فقابل نظراتها المتهمة ببرودة : ((أنا شخص
يجب الخصوصية ,

وما يحدث بيننا يجب أن يبقى خاصاً بنا هو
أيضاً ولا مكان لثرثرة

النساء بيننا)) .

أشاحت بوجهها عنه , ثم تكورت في

مقعدتها المريح . لم يكن

من عادتها أن تبكي لكنها شعرت فجأة أن

نهرًا من الدموع يمكن أن

يسيل من عينيها . ربما كان لهذا علاقة

بشعورها بالتعب إلى حد لم

تستطع معه أن تبقى عينيها مفتوحتين .

عرض عليها الخادم طعاماً

فهزت رأسها رافضة , إذ تشنجت معدتها

لفكرة تناول الطعام . أرادت

أن تتشاجر مع راوول , لكنها , راوول مرة ,

لم تكن لديها الطاقة

لذلك .

في الصباح التالي , تأخرت هيلاري في
النوم , وعندما

استيقظت , كانت متلهف لمواجهة راوول و
لقول كل ما عجزت عن

قوله أثناء تناول الغداء مع أختها . على

مائدة الفطور , أخبرها أمبرتو

أن راوول ذهب إلى المصرف منذ وقت طويل

.

ما تذكرته عن كيفية خلودها إلى النوم الليلة

الماضية كان غائماً

لكنه محرج . فبعد أن شعرت بالدوار أثناء

الطيران أخذت تتعثر وهي

تسير في المطار , ثم شعرت بالدوار مرة أخرى

في السيارة فسمحت

لراوول بأن يحملها إلى السرير عند وصولهما

إلى البيت . لم يملكها

مثل هذا الإرهاق قط من قبل . وتملكها

الارتياح وهي تحس بأنها

استردت طاقتها .

كانت تظن أنها جائعة جداً , لكن عندما
وصل الفطور الذي طلبته
فقدت شهيتها فجأة . دفعت الطبق بعيداً و
أخذت تأكل بعض الخبز
وتشرب الكاكاو الساخن الذي استمتعت به
كثيراً . وإذ رأت أن زيارة
إلى قدس الأقداس , مصرف ساباتينو ,
تتطلب جهداً خاصاً من ناحية
الأناقة , تملكها الارتياح و هي تكشف
أن الملابس الفاخرة التي

اشتراها راوول لها لا تزال في غرفة الملابس
ارتدت ثوباً مزيناً .

بالدانتيل بدا أكثر تحفظاً عندما وضعت
فوقه معطفاً قصيراً موشى
بالأزهار .

كان فرع مصرف ساباتينو في جنيف بالغ
الفخامة والاتساع ومبنيّاً
على أحدث طراز .

راح توتر أعصابها يزداد . إعلام مكتب
الاستقبال أنها زوجة

راوول آثار موجة من الاهتمام المتحفظ ،

حيث رافقها شاب أنيق إلى

الطابق الخاص من المبنى ، وأدخلها إلى

مكتب فسيح للغاية .

كان راوول يتكئ إلى الخلف برشاقة الفهد في

كرسي موضوع

خلف مكتب خشبي مصقول . أما بذلته

الزرقاء الداكنة مع قميص

رمادي وربطة العنق الأنيقة جعلته يبدو غاية

في الأناقة .

قال لها بنعومة : ((أخبريني عن سبب هذه

الزيارة . ما المناسبة ؟ لا

أظنه عيد مولد أحد)) .

. أردت فقط أن أتحدث إليك .

. كان عليك إذن أن تستيقظي من النوم باكراً

. إنني في عملي .

الآن ولست مستعداً لأي زيارات شخصية .

قالت آملة أن تستحوذ على انتباهه : ((هذا

حسن . . لأن هذه زيارة

تتعلق بالعمل ((.

وقف ومد يده إليها : ((تعالي , أريد أن

أريك شيئاً)) .

تقدمت نحوه فأمسك بيدها وجرها نحو باب

في الناحية الأخرى

من مكتبه .

. إلى أين تأخذني ؟

إنها غرفة الغسيل . سار خلفها ثم أوقفها

أمام الحوض ما أمكنها

أن ترى انعكاس صورتيهما في المرآة . كانت

عيناها الزرقاوان

مسمرتين على وجهه الأسمر . وتسارعت

دقات قلبها فأخذت نفساً

عميقاً .

قال وهو يخلع عنها معطفها : ((ماذا ترين ؟

((.

فجمدت مكانها : ((نحن الاثنتين)) ؟ .

أزاح حمالي الثوب معرياً كتفيها النحيفين .

توقفت هيلاري عن التنفس كلياً , ونسيت
في هذه اللحظة سبب
حضورها لرؤية راوول .

سألها بصوت ناعم كالحريير : ((هل هكذا
تلبس المرأة من أجل
موعد عمل يا عزيزتي ؟)) .
أجابته لاهثة : ((أعلم أن الثوب مكشوف
قليلاً لكنني أحبه كثيراً ,

وقد ارتديت هذا المعطف فوقه ليبدو محتشماً
ومتحفظاً)) .

فقال : ((هذا ليس ما أردت توضيحه . ما

أردت أن أقوله هو

ضعي ثوباً كهذا على جسد بارز المفاتن

كجسدك , ولا يمكن أن

تصفي النتيجة بالتحفظ)) .

مالت إلى الخلف , ومنحته ابتسامة

حاملة : ((هل أعجبك

الثوب ؟)) .

. أليس هذا ما أردته أنت ؟

. لم أفكر فيه ولكن لعلك على صواب .

لمعت عيناه الذهبيتان و أبعدها عنه بيدين

حازمتين و هو يقول :

((إذن , هذا المشهد هو لغرفة النوم وليس

لمكتبي في المصرف)) .

طرفت بعينها وهي تشعر بأزيز في داخلها

أنار ذهنها . يبدو أنه

ظنها جاءت إلى هنا لتغريه وتخرجه من مكتبه

في هذا المبنى

الحجري القديم ! فقالت بحدة : ((جئت إلى

هنا لأجري معك حديثاً

جاداً)) .

بعدئذ , تناولت معطفها وعادت إلى المكتب

: ((و أنا مصممة على

إجراء هذا الحديث . آسفة إذ لم تستطع أن

تركز ذهنك على العمل

لأن امرأة ترتدي ثوباً مغريباً . . .)) .

أظلم وجهه وألقى عليها نظرة لاذعة : ((

جري . . .)) .

. منذ حوالي أربع سنوات , وقعت عقداً

لأصبح زوجتك ,

ومقابل ذلك تسلمت مبلغاً معيناً من المال

وقد أعدت إليك ثلثي ذلك

المبلغ بعد أن اكتشفت أنني لست بحاجة إليه

, ثم . . .

رفع راوول يده يسكتها : ((توقيني . تقولين

إنك أعدت جزءاً من

ذلك المبلغ ؟ كيف ؟)) .

. لق أعدته إلى الحساب الذي فتحتة أنت ,

وأرسلت إليك

رسالة عبر محاميك . ذلك الرجل المشكك

بول . . .

. الرجل النافذ البصيرة ؟ بسبب تصرفك

الغريب , هشمت أنفه

في الأسبوع الماضي . . .

حملت فيه وسألت : ((فعلت ماذا ؟

هشمت أنفه ؟ ولكن

لماذا؟؟) .

. من سوء حظه أنه أشار إلى أن زوجتي

ليست كما أظنها . .

وذلك قبل أن أستعيد ذاكرتي .

احمر وجهها لهذه الإهانة : ((حسناً . .

كنت أتحدث عن ذلك

. ((المال

لم يبد عليه التأثير , وقال : ((لم أعرف أنك

أعدت أياً من ذلك

. ((المال

. حسناً , المسألة هي أنني أعرف . أدركت

أنني لست بحاجة

لأن أشترى بيتاً بينما يمكنني أن أستأجر

واحداً . احتفظت فقط بمبلغ

يمكنني من استئجار شقة , و افتتاح صالون

حلاقة في المتجر الذي

في الطابق الأرضي . الصالون كلف الكثير .

عملي ليس مشروعاً يدر

المال لكنه يكفي لدفع الإيجار ونفقات

العيش . لم أتدمر قط . . .

. هل لك أن تخبريني إلى أين سيقودنا هذا

الحديث ؟

. عندما تنهي إيما دراستها , سأبيع العمل و

أعيد إليك كل ما

لأعطيتني إياه . لذا , إذا ما قطعت لك

وعداً فنكون متعادلين وتدعني

أعود إلى وطني .

. هل أرتديت أكثر ملابسك إثارة لتقدمي لي

هذا العرض ؟

تملكها الغيظ من تهربه من الجواب ما

يوضح أنه يعتبر هذا

العرض لا يستحق أي اعتبار . أخذت

تتنفس بعمق , بينما عاد هو

إلى مقعده خلف مكتبه وأخذ ينظر إلى

صدرها الممتلئ و هو يرتفع

و ينخفض تحت ((الدانتيل)) .

و أخيراً قال برقة : ((بالنسبة إلي , الأمر لا

يتعلق بالمال ولم يكن

كذلك قط . من المؤكد أنك أدركت ذلك ((

.

. أعلم أنك تعتقد أنني مدينة لك . وأعلم أن

لديك نوعاً من

المبادئ التي لا تعرف الصفح .

قال متسلياً : ((لديك قدرة كبيرة على فهم

الأمر)) .

. لا أستطيع أن أجد سبباً معقولاً يجعلك تصر

على إرغامي على

البقاء هنا . .

فابتسم ساخراً : ((لكنني لذي أكثر من

سبب معقول . لذي حب

السيطرة . اشعر بالرضى البالغ لإرغامك

على القيام بما أريده)) .

. هذا مقزز . . عليك أن تخجل من نفسك

.

ثار غضبها وهي تراه يعترف بذلك من دون

تردد .

ضاقت عيناه : ((ولكن ألم تفعلني الشيء

نفسه ؟ شعرت برضا بالغ

عندما استغلّيت فقدان ذاكرتي لكي

تمنحيني شعوراً زائفاً

بالاطمئنان ((.

. أنا لست مثلك . . كما أنني لم

أستغلك . حاولت فقط أن

أجعلك هادئاً سعيداً .

نطقت بهذه الكلمات شاعرة بالألم ,

فالتوى فمه هازئاً : ((أوكد

لك أنك جعلتني أبتسم في غرفة النوم . أما

بالنسبة إلى إرغامي لك

على القدوم إلى هنا , فلم يحن الوقت بعد

لكي تواجهي الحقائق ؟ ((.

. أيه حقائق ؟

. أنت لم ترفضى القدوم معي إلى البيت

كما لم تقاومي

وتصرخي . أنت تريدني أيضاً .

فقلت بجرارة : ((ليس إلى الحد الذي

يجعلني أسمح لك بأن

تستغلي)) .

فقال وهو يمر بأصابعه على خدها : ((وما

هو الحد ؟)) .

اشتعل جسدها حيث مر بأصابعه و أصبح

حساساً وكأن كل خلية

فيه التهبت .

قالت وهي ترتجف : ((المعاشرة الزوجية

ليست كل شيء بالنسبة

إلي)) .

فقال بصوت أجش : ((أستطيع أن أجعلها

كذلك)) .

. إنني أقدر نفسي أكثر .

. لكنك لم تكوني كذلك منذ أربع

سنوات . لو أشرت إليك

بإصبعي لهرعت إلي ركضاً .

دمرها قوله هذا . وعادت بذهنها لحظة إلى

الماضي , حين كانت

غارقة في غرامه وبدون أمل . كانت حمقاء

صغيرة السن و مستعدة

للقيام بأي شيء لكي تحصل على فرصة معه

. فكرة أنه كان يعرف

شعورها نحوه بالضبط , ومع ذلك تركها

ومضى , كانت مؤلمة إلى

حد لا تستطيع احتمالاه .

. أيها الحقير . أنت أيضاً انجذبت إلي لكنك

لم تفعل شيئاً حياً

ذلك . . .

. كنت متعقلاً أكثر مما ينبغي . . .

. بل متكبِراً أكثر مما ينبغي . أراهن على أنني

لو كنت تلك الفتاة

الفاسدة لمنحتني فرصة !

. أنا لست متكبِراً . إنما لدي تطلعات في

مجالات معينة و لن

أعتذر عن ذلك .

. أنت رجل ولد و في فمه ملعقة من ذهب

. اعتدت أن تنال

الأفضل طوال حياتك . نظرت إلي فشعرت

نحوي بالانجذاب نفسه

الذي شعرت به نحوك . . أنا أعرف هذا . .

لأنك اعترفت لي بذلك

حين كنت فاقداً لذاكرتك . .

كانت تتكلم بمزيج من الغضب والألم و

الإتهام . . .

. لقد تركتك ورحلت لأنك كنت صغيرة في

السن . . .

. بل تركتني ورحلت لأن عقلك يقوم بوظيفته

بجمود بالغ . .

فقال بنعومة : ((هل هذا هو تقديرك للأمور

. ((؟

. . . . ولأنك لم تجدني مناسبة . .

. وما زلت غير مناسبة . . ومع ذلك أنت

هنا . .

ووضع يديه على خصرها وجذبها إليه

فقالت ثائرة : ((أتظن أن

عناقك سيجعني أقل غضباً منك ؟ ((.

لكنه سحق عظامها ثم أطال العناق
مستمتعاً , فارتجفت ورفعت
يديها تمسك بكتفيه القويتين . وقربها منه
أكثر ما جعل الدم يتسارع
في عروقها بشكل جنوني .
قال بصوت ثخين : ((لا أستطيع الانتظار
حتى الساعة ليلاً)) .
. . آه . .

لا يفترض فيه أن يعانقها فهي غاضبة منه .

لكنها غرزت أظافرها

في قماش سترته الفاخر وعادت تلتصق به .

وتملكها الذعر : ((إننا في المصرف . . قد

يدخل علينا شخص ما

من هذا الباب في أية لحظة)) .

. إنه مقفل . . نحن في أمان .

وأرجع رأسه إلى الخلف مستمتعاً بالنظر إليها

قبل أن يقول :

((لكنك لست كذلك . . .)) .

حاولت أن تملص منه إلا أن راوول رفعها

بين ذراعيه بسهولة .

. راوول !

. لا يمكن مقاومة هذا

بدت الرغبة على وجهه القوي وهو يقول :

((أنت تسرين في

جسدي كالحمي)) .

راح الهاتف يرن , فشتم و مد يده إلى

خلفها ليوقف الرنين , تخلل

شعرها بأصابعه وهو يضمها إليه , فتمت

لاهثة : ((أريدك)) .

. ليس بقدر ما أريدك يا جميلتي .

وصمت لحظة قبل أن يردف : ((علمتني

أن أسبوعين من عمر

المرء قد يمران وكأنهما الحياة بأكملها)) .

بعدئذ , حملها راوول إلى عالم من

الأحاسيس , لم تكن حتى

تحلم بوجوده . وعندما عادا إلى أرض

الواقع , أوشكت أعصابها

على الاختيار نتيجة استسلامها هذا . أما هو

فقد وقف ينظر إليها

مذهولاً : ((لا أستطيع أن أصدق أننا فعلنا

ذلك . لا أستطيع أن

أصدق أنني تماديت إلى هذا الحد في مكثي))

.

كانت هيلاري بحاجة فقط إلى من يذكرها

بهذا كله , فهبت واقفة

كالقطة . أرادت أن ترحف إلى تحت المكتب

وتختبئ لكنها لم

تفعل .

وأضاف راوول بيرودة : ((عليك عدم

دخول مكثبي بعد الآن)) .

قالت متلعثمة بانفعال بالغ : ((آسفة .

قل . . قل هذا مرة

أخرى . .)) .

. أظنك خططت لتمثيل هذا الدور

المسرحي لتظهري نفوذك

و تأثيرك . جئت إلي متعمدة ارتداء هذا

الثوب لكي تنتصري علي .

تلكم ببرودة أثارت أعصابها فكادت تهجم

عليه و هي تصرخ

بهستيرية . هل يظنها خطت لانهيارها هذا

. هل يظنها مزهوة

باستسلامها . أتراه فقد عقله . واحمر

وجهها خجلاً . حاولت أن

ترتب ثوبها بأصابعها المضطربة وهي تقول :

((ما إن دخلت من ذلك

الباب , حتى سيطرت على ذهنك فكرة

واحدة . فإياك أن تجرؤ على

لومي ((.

صمت لحظة تستعيد فيها أنفاسها ثم تابعت

: ((من أقفل الباب ؟

من تجاهلني عندما حاولت أن أذكره بمكان

وجودنا ؟ من أخبرني أن

مرور أسبوعين يمكن أن يكونا أشبه بمرور

الحياة بأكملها ؟ ((.

. هيلاري .

. وما إن نلت ما تريد , حتى رحت تتصرف

وكأنني ألقيت بنفسي

عليك .

كانت تتكلم بشكل محموم فيما تتجه إلى

الباب متجنباً النظر

إليه :

. من حملي بين ذراعيه ؟ صدقني أن

الشياطين نفسها لا يمكنها

أن تعيدني إلى هذا المكتب مرة أخرى .

حمل راوول معطفها ليضعه على كتفها

فقال له شامته : ((ثمة

أحمر شفاه على قميصك)) .

. أريد أن أتفق معك على تكرار هذه الزيارة

, يا حبيتي .

فرمته بقولها : ((في أحلامك)) .

فتمتم بنعومة : ((أنا خير . العلاقة الحميمة

بهذا الشكل نادرة)) .

شحب وجه هيلاري وأحنت رأسها . إنه من

دون مشاعر , لكنه

ويبضع كلمات قادر على أن يسلخ جلدها

عن عظامها .

متى بالضبط نسيت شعوره نحوها ؟ متى

بالضبط نسيت رأيه فيها

على أنها باحثة عن الثروة ؟ وأنها كاذبة

ومخادعة و أنها استغلته أثناء

ضعفه ؟ ضعفه ! وتأملت راوول . . إنه

حيوان ذكوري لا يعرف

الضعف . رجل ينظر إليها بمزيج من الرغبة و

البرودة . رجل يغرقها

في الأحاسيس لينسى وجودها تماماً بعد ذلك

. باختصار , إنه رجل

قادر على أن يؤذيها إلى حد بالغ إذا لم تكن

حذرة . . .

. هذا لن يحدث بعد الآن أبداً .

وأطلقت شتيمة و هي تستدير على عقبيها

متوجهة نحو الباب

لتهرب من مشهد هزيمتها هذا .

. على أي حال , ليس قبل أربع وعشرين

ساعة لأنني سأغادر

إلى زوريخ هذا المساء . سأراك مساء الغد .

فكرت هيلاري في ردود متنوعة تهاجمه بها

مثل : لا تسرع

بالعودة إلى البيت , لكنها رأت أن أي

جواب كهذا لن يترك تأثيراً

مذكوراً فيه , فغادرت المكتب بصمت شاعرة

بالضيق . في الخارج ,

رأت مجموعة من الموظفين في الانتظار و

قد بدت الحيرة على

وجوههم . تراجع الكل ليدعوه تمر ,

فسارعت نحو المصعد إذ

شعرت أن ما كانت تفعله في الداخل

مكتوب من دون شك على

وجنتيها المتوهجتين .

لقد اكتشف , بشكل ما , السحر الذي

يحولها إلى امرأة تتصرف

كامرأة عاشقة . لهذا وحده عليها أن تكرهه

و تذكرت رد فعله على

وجودها . لقد أفقدته المشاعر المشبوبة التي

غدرت بهما اتزانها ,

فأعلمها أنها ممنوعة من دخول مكتبه ،
ممنوعة وكأنها تتمتع بجاذبية
طاغية تجعلها خطراً عليه في مكتبه حيث
الاستقامة والصرامة
والانضباط . وأرجعت رأسها إلى الخلف
وعلى فمها ابتسامة عريضة
وقحة .

* * *

نهاية الفصل ((السابع)) . . .

.....

.....

.....

.....

.....

.....

8.

مثلة بارعة

في اليوم التالي جلست أمام الفطور تتأمل

الطعام من دون

شهية . كانت تشعر بالغثيان , ولم تكن هذه

المرّة الأولى أيضاً .

أتراها أصيبت بعدوى ؟ لكنها لم تكن تشعر

بالمريض . . بل بمجرد

تعكر في المزاج .

وبينما كانت تفكر في هذا اللغز , خطر لها

أن جسدها يتصرف

أيضاً بشكل شاذ .

وبحساب بسيط على أصابعها , اكتشفت

أن دورتها الشهرية

تأخرت أيام عدة . عادت تحسب لكنها لم

تستطع أن تتذكر التواريخ

الصحيحة لأنها لم تهتم قط من قبل بهذا

الموضوع . و اختلطت

التواريخ في ذهنها , وجمدت مكانها وهي

تتذكر أنها لم تتخذ أي

احتياطات لمنع الحمل . . كما لم يفعل راوول

..!

كل ما حدث بينها وبين راوول حدث بسرعة
ولم تجر العلاقة .

بينهما عن سابق تصور وتصميم .
هل كان يفترض أنها تتناول حبوب منع
الحمل ؟ رياه , كيف
أوصلت نفسها إلى وضع كهذا ؟

في الشهر الماضي لم تعاشر راوول سوى
أسبوع واحد , فكيف

تنجب في مثل هذا الوقت القصير ؟ ألم تقرأ

مقالة صحفية عن

انخفاض معدل الخصوبة لدى المرأة ؟ لعل

التوتر والإرهاق جعلها

دورتها الشهرية غير منتظمة وجعلها تشعر

بهذه الوعكة . ستنتظر

أياماً عدة فإذا بقيت على حالها , ستشتري

اختباراً للحمل . على أي

حال , من الجنون أن تقلق لشيء لا يحدث

أبداً .

حول لها أمبرتو اتصالاً , وكان راوول الذي

قال : ((أردت

الاتصال بك الليلة الماضية , لكن الاجتماع

تأخر كثيراً)) .

كان صوته العميق رائعاً عبر الهاتف . قالت :

((لا بأس . لم أكن

أتوقع اتصالاً منك)) .

. سنحضر الليلة حفلة يا عزيزتي .

. إذن , سأحصل على سهر خارج البيت

لحسن سلوكي ؟

. وسهرة في البيت لسوء سلوكك . خمني

أيهما أفضل . أنا لا

أحب الحفلات .

أثناء ارتدائها ملابسها ذلك المساء , انتظرت

مقطوعة الأنفاس

فتح الباب الموصل بين غرفتيهما .

ارتدت ثوب سهرة أخضر مكشوفاً عند

كتفيها يبرز لن بشرتها

الناصع البياض . وأخيراً نزلت السلم .

خرج راوول يسير متمهلاً في الردهة وراح

يتأملها بعينين داكنتين

بسواد الليل ، عينان ما لبثتا أن تألقتا

استحساناً : ((مظهرك جيد)) .

تورد وجهها لنظراته ، وقالت : ((لا حاجة

بك لإظهار الدهشة)) .

. خطر ببالي أنك قد تنتهزين الفرصة لإغاظتي

بارتداء شيء غير

ملائم .

. أنا لست إلى هذا الحد من الصبيانية .

وتنحنت ثم عادت تقول : ((وبالمناسبة ,

أعدت خاتم الزواج . .

ذاك . . إلى إصبعي)) .

فقال ببرودة ناعمة : ((ولمَ لا ؟ لقد

جاهدت بما يكفي للحصول

عليه)) .

التهب وجهها وكأنه صفعها : ((عندما

تحدث إلي بهذا الشكل ,

أكرهك)) .

فضحك ساخراً : ((الكراهية تقليد متوارث

بين المتزوجين في

أسرتنا)) .

. إذا أحببت أمك رجلاً آخر , فهذا لا يعني

أنها كانت تكره

أباك . .

. كلا . كانت أمي تحب ذلك الرجل نفسه

عندما تزوجت أبي .

وعندما عرف أبي الحقيقة تحول حبه لها إلى

كراهية .

فأجفلت : ((وما الذي جعلها تتزوجه ؟))

.

كانت السيارة الآن تنتظر أمام المنزل .

فأجاب : ((كانت جدتي

تحب المال مثلها , لكنها أحسن أخلاقاً ,

فأعطت جدي كليمنت ولداً

ثم أخبرته أنها أدت واجبها . ورغم أنهما بقيا

تحت السقف نفسه

حتى ماتت , إلا أنهما لم يعيشا زوجاً و زوجة
مرة أخرى قط)) .

. يبدو من الخطأ أن تتزوج أمك أباك بينما
هي تحب رجلاً

آخر . لعلها تعرضت لضغط لست عن علم
بها , أو لعلها اعتقدت

أنها تقوم بالأمر الصواب وأنها ستتعلم كيف
تحب أباك .

حرصت هيلاري في جداولها هذا معه على
أن تشجعه على

تخفيف حكمه على أخطاء الآخرين .

فقال بجفاء بالغ : ((هذا التعليل لم يخطر

في بالي قط . أتظنين

أنها أنجبتني آملة أن تتعلم كيف تحبني أنا أيضاً

؟)) .

أجفلت لسخريته هذه , وقالت : ((

أدرت فقط أن أقول إن ثمة

وجهين لكل زواج فاشل وقد يكون هناك

ظروف مخففة . . كنت

أحاول أن أواسيك)) .

. لكنني لا أحتاج إلى مواساة , أنا لا أتذكر

أمي , فقد ماتت

قبل أن أبلغ الرابعة .

. وكيف ؟

فهز كتفيه : ((غرقت)) .

. آسفة لأن القدر لم يسمح لك بأن تراها

. نعم , أعرف أنك

تظني عاطفية أكثر من اللزوم . لكنك لو

تعلم ما أنا مستعدة لفعله

لكي أستعيد أُمي وأتحدث إليها ولو لخمس
دقائق . . أنا مستعدة
للقيام بأي شيء من أجل هذا . .
قاطعها هازئاً : ((إذا كنت لا تستطيعين أن
تقنعي قلبك بأن ينزف
بصمت , فسأحضر الحفلة وحدي)) .
فقالت وهي ترتعش قليلاً وعيناها تغرورقان
بالدموع بعد أن
أحست بغصة : ((أظن أن هذه أفضل
فكرة سمعتها . لا أراي أريد أن

أمضي دقيقة أخرى مع شخص من دون

شعور مثلك)) .

. اهديني , كدنا نصل إلى المطار . أنت

عاطفية للغاية . .

قالت بعنف وهي ترتجف : ((من غير المحتمل

أن تشعر بالحزن ,

أليس كذلك ؟ أنا لا أخجل من إظهار

عواطفني)) .

فقال بهدوء : ((أنا لا أطلب منك أن

تخجلي , بل ألا تظهرني

عواطفك وحسب)) .

لكن هيلاري وجدت صعوبة في أن تتحكم في

عواطفها الجياشة :

((لقد أحببت والدي كثيراً وما زلت أفقدتهما

بشكل هائل . علماني أن

يكون ظني بالناس حسناً , رغم أنني

اكتشفت لاحقاً أن العالم ليس

مثالياً دوماً)) .

. ومن علمك ذلك الدرس ؟

. ابنة عم أبي , ماندي , عندما علمت

بموت والدي , بدأت

تحركاتها . أقنعت مؤسسة ((الشؤون

الإجتماعية)) بأنها الشخص

الوحيد المناسب و القادر على تنشئة أختي

إيما وتحمل مسؤوليتها .

و كنت أنا أعتبر قاصراً حينها . وتملكني

الفرع من أن أفترق عن أختي

فنقلتنا ماندي لنعيش معها في منزل كبير

مستأجر . . .

شعرت هيلاري بألم بالغ لهذه الذكرى ،

فسألها : ((ثم ماذا ؟)) .

. ابتزت ماندي وصديقتها كل ما استطاعا

الحصول عليه من

نقودنا . استولت على النقود التي تركها لنا

والدانا . لم يكن المبلغ

كبيراً لكنه يكفي ليقينا أنا وإيما ، مرتاحتين

لسنوات عدة . وعندما لم

يبق لدينا ما يمكن أن يُسرق أو يُباع ، رحلت

من البيت ذات يوم ولم

تعد قط .

. أظنك استدعيت الشرطة , فإساءة الأمانة

جريمة .

. كان المال قد نفذ وليس بإمكان أحد أن

يعيده . كان لذي أمور

أخرى تقلقني أكثر . . . مثل العثور على

مكان أقل كلفة نعيش فيه ,

فضلاً عن رعاية أختي .

وبحنان غير متوقع , أمسك بيدها يضغط

عليها : ((لقد وثقت

بماندي لأنها كانت من أقاربك . ولا بد أن

غدرها تسبب لك بصدمة

كبيرة ((.

. نعم . . .

وبدلاً من أن تداري مشاعرها , أفرعها أن

تدرك أن تلك الرغبة

في إطلاق العنان لدموعها تزداد قوة .

وتتم بصوت لاذع أجش : ((عندما فقدت

ذاكرتي , لم يكن لدي

خيار سوى أن أثق بك . وصدقت أن زوجتي

((. . .)) .

سحبت يدها من يده بعنف وقالت : ((

لست بحاجة إلى أن تقول

المزيد , فقد فهمت ما تريدني أن أفهمه .

لكن كل ما فعلته أنا هو

أنني حاولت أن أتصرف وكأنني زوجتك . لم

يكن لدي أية دوافع

خفية , كما لم يكن في نيتي أن أكسب مالاً

من زواجنا)) .

. الزمن وخده هو الذي سيبرهن مدى صدق

هذا الإدعاء .

. اسمع . ما هي مشكلتك ؟ أنت وسيم

بشكل لا يصدق , مثير

للغاية , ومع ذلك يبدو أنك لا تصدق أن

امرأة ما قد تريدك

. لشخصك .

فأجاب بنبرة ناعمة كالحريير : ((أو من أجل

جسدي)) .

صدمها ذلك وفقدت أعصابها وتملكتها ثورة
لم تستطع التحكم
فيها : ((هذا أحد الأمور التي لا يمكنني أن
أطيقها فيك . تحب دوماً
أن تكون لك ملحوظة ذكية . أنت مقتنع
بأنك لا تخطئ فتلومني على
كل ما يحصل . إذا سقطت السماء فوقنا في
هذه اللحظة , لقلت أن
الذنب ذنبي)) .

لم يهتم لهجومها هذا وقال و هو يتفحصها

بنظراته : ((نعم . . من

المعروف أن الصراخ يسبب انهيار الجبال)) .

تنفست بعمق لتتحكم بمشاعرها . كانت ترى

ملاحه الوسيمة

بشكل يفوق الوصف من خلال ضباب أحمر

, وفي تلك اللحظة من

العداوة , فتح السائق الباب .

وعندما استقر بجانبها في الطائرة المروحية ،

همست بصوت

كالفحيح : ((أريدك فقط أن تعلم أنني

أكرهك)) .

تخلل شعرها بأصابعه الطويلة ، ثم أمسك بها

وعانقها . شعرت

وكأنها هوجمت ثم قذفت من فوق جرف عالٍ

إلى هاوية سحيقة

لتتملكها إثارة ساخنة .

مال إلى الخلف وأخذ يحدق إليها بعنف :

((سبق في الحفلة

أربعين دقيقة فقط)) .

كانت تلهث , وأذهلها عنف مشاعرها رغم

محاولتها إبقاءه بعيداً

عنها . إنه قادر على أن يؤذيها , وسيؤذيها

ما دامت تحبه .

. . راوول .

. أنت تجعليني أحترق من أجلك . . بالكاد

نمت ليلة كاملة أثناء

غيابك في لندن . لكنك عدت الآن ملكاً لي

وستبقين كذلك حتى

أقرر أنا العكس , يا جميلتي .

أنزلتهما الطائرة المروحية على سطح يخت

فخم حيث استقبلوا

بترحيب بالغ وكأنهما من العائلة المالكة .

كانت هيلاري تشعر

بدوار , وكل ما تراه هو راوول , وجسمه

الكبير المتوتر

المتعلم بجانبها , وذراعها القوية التي تطوق

خصرها . إلا أن آداب

المجتمع أخذته منها إذ جاء مضيفه يحثه على

أن يقابل صديقاً

قديماً .

أمسكت هيلاري بكأس شرابها الذي لم

تمسه . أحست بالأنغام

وثرثرة الحضور تكتنفها , وأخذ المضيف يقدم

إليها وجوهاً غريبة .

ملابس النساء الأنيقة وحليهن الرائعة أغشت
منها البصر فأخذت
تطرف بعينها . كما زادت حركة اليخت
الخفيفة الأمر سوءً وباغتها
الرطوبة الساخنة وتملكها دوار وشعرت
بغثيان شديد . وعندما التفتت
بلهفة تبحث عن مقعد , كان الأوان فات
و سقطت على سطح
المركب مغمى عليها .

عندما استعادت وعيها , كان راوول ينظر

إليها بعينين غامضتين

وهو يقول : ((لا تقلقي يا عزيزتي سأخذك

إلى البيت)) .

عادت تطرف بعينها , وحمدت الله بصمت

على تلاشي شعورها

بالغثيان . رفعها بين ذراعيه , متبادلاً حديثاً

قصيراً مع مضيئه

القلقين , ثم سار بها إلى السطح العلوي

ليركبا الطائرة المروحية مرة

أخرى .

عندما أصبحت الطائفة في الجو , قال لها

بإعجاب ساخر : ((لا

أظني رأيت في حياتي تمثيلاً أروع أو أكثر

سحراً من تمثيلك هذا)) .

تذكرت أنه أعرب عن رغبته في قضاء أقل

من ساعة في

الحفلة . . . سرها أنه اعتقد حقاً أنها مثلت

دور المغمى عليها لكي

تسره وتساعده على إيجاد حجة لترك الحفلة

بسرعة . لم تساعد حركة

الطائرة في الجو ف استقرار أمعائها المضطربة

, كما أن الحديث

فاق قدرتها على الاحتمال . شغلت ذهنها

أسئلة عديدة زادت من

توترها . لماذا أغمي عليها ؟ لم يحصل لها هذا

قط من قبل . لكنها

تذكرت أن بيبا أخبرتها أن الدوار أمر شائع

في بداية الحبل . وحالما

حطت بهما الطائرة المروحية , التفت راوول

إلى هيلاري ليساعدها

بينما أضاءت ابتسامة خبيثة وجهه الوسيم :

((كان هذا أكثر حالات

الإغماء تأثيراً . حتى أنني ظننت , للحظة ,

أنه حقيقي)) .

تمت وهي تتكئ عليه : ((لقد كان كذلك

. . . أظنه دوار

البحر)) .

فهتف : ((دوار البحر ؟)) .

فأضافت بنبرة اعتذار : ((وما زلت أشعر

بالضعف)) .

تأوه وانحنى ليحملها مرة أخرى وهو يقول

مستغرباً : ((دوار

البحر ؟ لم يمض عليك سوى ربع ساعة في

البحر)) .

بعد ذلك بساعة كانت تستلقي في السرير

وقد ارتدت قميص

نومها فيما جلس راوول عند أسفل السرير

يتفحصها باهتمام . قالت

متدمرة : ((لا أريد أن أتمدد هنا كالجثة . .

أشعر بأنني في أحسن حال

الآن)) .

فقل معنفاً وكأنه يتحدث عن أمر يمكنها

تلافيه : ((الناس

الأصحاء لا يغمى عليهم . . . إذا قال

الطبيب إن حالتك جيدة ,

فيمكنك أن تنهضي من السرير)) .

سمع طرفاً على الباب , فقال : ((لا بد
أنها وصلت . لقد اتصلت
بها من السيارة وطلبت منها أن تزورنا)) .
جلست هيلاري مدعورة : ((لا أريد أن
أرى طبيباً . . . بالله
عليك . . . لست بحاجة إلى ذلك)) .
دعيني أحكم بنفسي على هذا . . .
وما شأنك أنت بذلك ؟
أنا زوجك , ومسؤول عن صحتك
وسعادتك حتى لو لم تكوني

ممتنة لذلك .

أخرسها الخجل والإحراج فيما فتح الباب

لامرأة في منتصف

العمر , ذات شعر رمادي مكوم فوق رأسها

.

قالت هيلاري عندما أبدى راوول عدم رغبته

في أن يغادر

الغرفة : ((أريد أن أكون وحدي مع الطبيب

((.

أجابت على أسئلة الطبيبة بصدق , ثم

استسلمت للفحص .

وأخيراً قالت الطبيبة باسمه : ((لا شك أنك

سبق وخننت السبب .

أنت حامل)) .

شحب وجه هيلاري لأن كل ما فكرت فيه

في هذه اللحظة هو

كيف سيتلقى راوول هذا الخبر وسألت

الطبيبة : ((هل أنت واثقة ؟)) .

فأومأت الطبيبة : ((ثمة دلائل لا تخطئ)) .

أسرت هيلاري إلى المرأة قائلة : ((لا أريد

أن أخبر زوجي

الآن)) .

لقد أذهلها ما سمعت . ستجب طفل راوول

. قد يكون طفلاً

بشعر أسود وابتسامة جذابة , أ , طفلة جريئة

بعينين رائعتين كعيني

النمرة , لديها قناعة بأنها ستحكم العالم .

نعم . . . ستجب طفل

راوول وهو سيكرها لذلك .

عندما دخل راوول الغرفة لم تستطع أن

تنظر إليه . نزلت من

السريـر وسألها : ((ماذا تفعلين ؟)) .

. كنت أعاني من دوام البحر وقد تحسنت

الآن وأريد أن أرتدي

ملابسي .

. حملها وألقى بها على السريـر : ((لا .

الطبيبة قالت إنك بحاجة

إلى طعام ملائم وكثير من النوم , وأنا

سأحرص على تنفيذ

نصائحها)) .

قالت له بغضب حين وقف بجانبها يراقبها

وهي تتناول طعامها

اللذيذ الذي أحضر لها على صينية مزينة

بالأزهار : ((عمل الخير لا

يناسبك)) .

منحها ابتسامة طويلة جعلت دقائق قلبها

تتسارع , وقال : ((أنا

أفكر فقط في رغباتي)) .

. أحقاً ؟

. عليك أن تكون في صحة جيدة ونشيطة

لتنفذي ما أنتظره في

الأيام القليلة القادمة , فقد قررت أن آخذ

فترة استراحة . . .

. لكنك لا تأخذ عطلات . . . ؟

. امنحيني نفسك . . . وسريراً , واتصلاً

بمجلس الإدارة فأخذ

عطلة .

احمر وجهها حتى منبت شعرها فتمتم بصوت

أجش : ((سوف

أتخلص من تأثيرك هذا في , أو أموت وأنا

أحاول ذلك , يا

عزيزتي ((.

. ماذا ستفعل عندما تتخلص مني ؟

أثناء الصمت الذي تلا , كانت أضعف من

أن تستطيع حتى

التنفس بانتظار جوابه .

. أعيدك إلى بلدك ثم أعود إلى حياتي الماضية

الحررة غير

المعقدة , كرجل أعزب .

. ولماذا تنتظر ؟ لماذا لا تفعل هذا الآن ؟

. ما زلت مستمتعاً بك , فأنت تختلفين

عشيقاتي السابقات .

فقلت بحدة : ((وهل لمشاعري أي حساب

في هذا ؟)) .

. إنني أجعلك تشعرين بلذة هائلة , وأنت

تعلمين ذلك .

ذكرها بذلك ببرودة عديمة الرحمة وإلفة

العشيق القاسية , مدركاً

تماماً قدرته على أن يقلب كيائها رأساً على

عقب لهفة وشوقاً .

عادت تستند إلى الوسائد خلفها و تغمض

عينها المجرحتين

بوقاحته . ذكرت نفسها بأن الصبر هو مفتاح

الفرج و أن لا ضير

أحياناً من السير مع التيار . قد لا تحتاج أبداً

أن يعلم أنها حامل

منه . هل عليها حقاً أن تخبره ؟ عندما

سيفترقان , لن تراه مجدداً ,

وهي تريد طفلها ومتلهفة إليه للغاية ،

ولديها الكثير الكثير من الحب

لتعطيه . وهي مستعدة لأن تقوم بأشق

الأعمال لكي تمنح طفلها بيتاً

لائقاً . كيف يبلغ بها الجبن حد البحث عن

عذر لنفسها لئلا تخبر

راوول على الفور أنها حامل منه ؟

* * *

همست له حالما ابتعد البائع عنهما :))

أخبرتك أنني لا أريد

شيئاً . ما الذي نفعه هنا ؟) .

نظر إليها بتسلية : (ليس لديك مجوهرات

وقد حن الوقت كي

أشتري لك بعضاً منها) .

وقفت على أطراف أصابعها لتهمس بنبرة

التسلية نفسها : (ليس من

الحكمة أن تخرج فكرة العشيقة من غرفة

النوم . . . بدأت المزحة . . .) .

. هذه المرة أنا موضوع المزاح . ما من ساعة

خلف المال

تضيع فرصة كهذه .

أجفلت هيلاري بدهشة و ألم , واتسعت

عيناها واستقرتا على

ملاحه السمراء . مد ذراعه يحيط بها خصرها

النحيف ليمنعها من

الابتعاد عنه وهو يحثها بصوت أجش ودود :

((فكري في ما قلته لك

لتوي . في الواقع , قد لا تجدين هذا إلا في

الأفلام . أعترف بأنني

أسأت الحكم على دوافعك منذ حوالي أربع

سنوات

تنفست هيلاري بعمق , ثم سألته : ((هل

أنت جاد ؟)) .

. إلى أقصى حد .

واستغل صمتها ليجلسها على مقعد بجانب

منضدة عرض

المجوهرات وهو يقول : ((البعض يعبر عن

أسفه بتقديم الأزهار . .)) .

قالت لاهثة : ((هل هذا صحيح ؟)) .

لم تستطع أن تفكر بشكل قويم , فقد

أخرجها من حالة الألم

والإحباط لينقلها مباشرة إلى حالة الارتياح و

السعادة .

. والبعض لا يعبر عن أسفه بالكلام أبداً ,

وآخرون مستعدون

حتى لشراء المجوهرات لك آملين ألا تتوقعي

منهم تعفير وجوههم

بالتراب .

أشرقت ابتسامتها كشمس الصباح , وكادت

تقهقه ضاحكة لأنها

لم تنس قد ما قاله مرة عن أن تعفير الوجه

بالتراب هو للفلاحين

فقط .

وبعد ساعة , وبعد أن عادا إلى البيت ,

أخذت تمشي على

الشرفة فيما راح هو يشرب كأساً من العصير
وكان النبات الغزير .

يغطي الشرفات و الدرجات التي تنحدر نحو
التلة ومن ثم إلى

الشاطئ الخاص في الأسفل .

رفعت معصمها فالتمعت الساعة البلاتين في
ضوء الشمس

المتسرب من بين أوراق العريشة فوقها .

وقالت تداعبه : ((الخروج

معك مريح كما يبدو)) .

كانت تراقبه طوال الوقت مستمتعة بقربه ,
وبرجولته العنيدة
الجرئية , وحتى بإرادته العنيفة التي لا تلين و
التي جرؤت على أن
تعارضها في متجر المجوهرات ذاك .
وربما أنه اعتاد أن يواجه تفحصها له , رفع
حاجبه الأسود , وعيناه
اللامعتان مليئتان باللوم لعنادها في متجر
المجوهرات ذاك وعدم

قبولها أكثر من تلك الساعة هدية منه . ثم

قال : ((أردت أن أغطيك

بالماس)) .

فقلت ساخرة : ((سأبدو حمقاء تماماً))

.

. تبدين أشبه بإلهة وثنية , يا حلوتي .

خفق قلبها . وحده راوول يتصورها كما لا

يستطيع أن يفعل

رجل آخر , تملكها الخجل من نظراته المقيمة

, وتمت باضطراب :

((لم تفسر لي بعد لماذا غيرت رأيك ولم تعد

تعتبرني أسعة خلف

المال)) .

توتر وجهه القوي وأجاب : ((عندما ادعيت

في لندن أنك أعدت

معظم المبلغ الذي وهبتك إياه عند توقيع

عقد المحاسبة وتبين أن

المال ما زال موجوداً حيث لم يطلبه أحد

وذلك منذ حوالي أربع

سنوات)) .

. لكن ما الذي حدث للرسالة التي كتبتها

لبول كرويرو

المحامي ؟

. لم تصله قط . حينذاك , كان بول قد

انتقل إلى مكاتب محاماة

جديدة , ولا بد أن رسالتك أرسلت إلى

عنوانه القديم فضاعت . إن

بول متكدر جداً لكل ما جرى . وهو

يعلم الآن أنه كان الحلقة

المفقودة في السلسلة , وهذا هو سبب سوء

التفاهم الذي جرى بيننا .

كانت هيلاري مسرورة لمناقشتها موضوع

المال الذي تلقتها منه

أخيراً . قالت : ((لم أكن أنوي قط أخذ

نقود منك , لكنني فعلت , لذا

لا يمكنك أن تلومه على الفكرة السيئة التي

كونها عني)) .

. لم يكن لديه الحق في أن يحكم عليك بذلك

الشكل . . .

بدا الألم جلياً في عيني هيلاري , وتملكها

إغراء في أن تقول له

إن بول كوريرو اكتسب على الأرجح هذا

الموقف المتغطرس

الرافض لها منه هو نفسه .

قالت : ((أريد أن أفسر بعض الأمور .

عندما تقابلنا لأول مرة

كنا , أنا و أختي , نعيش في منطقة خطيرة .

وكان رفاقها يظنون أن

سرقة المتاجر أمر مسل . كانت تهرب من
المدرسة و كنت تعبئة من
السيطرة عليها)) .
كن راوول يصغي إليها باهتمام بالغ : ((لم
يكن لدي فكرة عن
مدى قساوة حياتك البيتية . فقد تصرفت
بشاشة على الدوام)) .
العبوس لا يجعل الأمور أفضل . منحتنا
نقودك بداية جديدة

فاستأجرت شقة , وأنشأت صالون حلاقة ,
ونقلت إيما إلى مدرسة
أخرى . المشاكل التي كنا نعاني منها توارت
كلها . ولم أعد مضطرة
للعمل ليلاً , فاضطرت هي إلى البقاء في
البيت ومراجعة دروسها .
وفي السنة التالية نالت منحة دراسية ومنذ
ذلك الحين لم تعد تنظر
سوى إلى الأمام .

. يجب أن تفخري بنفسك . أتمنى لو كنت

أكثر صراحة معي

حينذاك . . .

عندما اشتبكت نظراتها بنظراته , جف فمها

وحولت نظراتها :

((حينذاك , لم تشأ أنت أن تعرف عني شيئاً

..))

. لم أسمح لنفسي بأن أعرفك جيداً فدفعت

أنت الثمن . لكن

هذا كان في الماضي , أما هذا فهو الآن . .

.

وأمسك بيدها يطبع عليها قبلة محمومة .

ارتعشت وارتجفت ساقاها . وبتمهل بالغ نزع

عن كتفيها الوشاح

الحريري , فتمتت : ((إننا في وضح النهار

. ((. . . .

. إنك تجفلين بسهولة .

كانت واهنة القوى مستعدة له من دون أن

يقاوم بأي جهد مبالغ

فيه .

راح رأسها يدور , ولم تعد تستطيع أن

تتنفس . ثورة مشاعرها

جعلتها تنسى كل شيء ما عدا مشاعره

العنيفة الساحقة .

بعدئذ , حمل جسدها المتعب المسترخي بين

ذراعيه وأخذها إلى

غرفة النوم المنعشة . ابتسم لها راضياً فأرادت

أن تبكي حباً وعشقا .

أرادت أن تدوم هذه اللحظة من المودة

الصامته إلى الأبد . أزاح

شعرها عن عينيها وقبلها وضمها إليه

فشعرت بالانفعال وودت لو

تمضي بقية حياتها كهذه الدقائق وهي في

أسعد حالاتها .

. أنا أعبد جسدك , وأقسم أنه ازداد امتلاءً

منذ رأيته لأول

مرة .

خفضت هيلاري بصرها لتخفي الذعر في

عينها , فيما عاد يقول

بصوت خافت : ((هذا لا يعني أنني أتدمر .

أنت تفهمين ما أعني .

لاحظت رغبتك المتزايدة في أكل الشوكولا

السويسرية . . .)) .

إنه ظنها تسكن لأنها تكثر من تناول

الشوكولا . ابتعدت عنه

بسرعة .

تأوه بصوت مرتفع , ثم شدها بيده يعيدها

إليه : ((لا تكوني

حساسة للغاية . عن النساء يتلهفن إلى أن

يكون لهن جسد كجسدك .

سيسرني للغاية أن أزودك دوماً بالشوكولا .

من المنعش جداً أن

يكون المرء مع امرأة تأكل ما تريد)) .

لا يكفي أنه يراها سمينه , بل مهمة أيضاً .

ليت هذا صحيحاً !

ليت ازدياد وزنها وامتلاء جسدها بسبب

الشوكولا فقط .

. سأستحم .

وخلصت نفسها منه وأسرعت إلى الحمام ,

فسألها : ((أي جهنم

تجعلك لا تقديرين جمالك ؟)) .

. لقد رأيت سيلاين . . . بجانبها أبدو قصة

وسمينة .

التمعت عيناه غضباً وهب من السرير : ((

سيلاين تطفئ رغبتى ,

أما أنت فتثيرينها . لا أستطع أن أبقى يدي

بعيدتين عنك أكثر من

ساعة , حتى أنني تركت عملي في المصرف

لأكون معك)) .

اغرورقت عيناها بالدموع : ((هذه مجرد رغبة

جسدية)) .

ساد صمت مطبق , وانتظرت منه أن يخرق

هذا الصمت ولو

بكلمة اعتراض واحدة .

بادلها النظر بعناد عنيف . كانت عيناه

تلتمعان بغموض , وجسمه

الجبار يقف متأهباً وكأنه يستعد للدفاع عن

نفسه ضد المهاجمين .

خاب أملها , وشعرت بغصة آلمتها , إذ لم

ينكر قولها هذا . عليها

أن تكون أذكى من أن تظنه سيفعل .

وبابتسامة سريعة أرادت لها أن

تقنعه بأن هذا النوع من العلاقات لا يناسبها

, دخلت الحمام وأقفلته

خلفها , ووقفت تحت المياه المتدفقة فيما

دموعها تنهمر على خديها .

كبحت شهقاتها . كل ما يمكنها ان تقدمه له

علاقة مادية بحتة , و لا

يمكنه أن يقول إن لديها أي سبب لتذمر .

مضى أسبوع منذ أحضرها إلى جزيرة سردينيا

ليقيما في هذه

الفيلا الخلابه حيث يستمتعان بعزلة كاملة

ورفاهية غير متكلفة .

بقيا متلازمين من دون انفصال مدة سبعة أيام
فكانا يتناولان .

طعامهما على الشاطئ , ويسبحان في ضوء
القمر . فضلاً عن

وجبات العشاء الشاعرية المتأخرة ,

والقيلولات الطويلة في الأيام

الحارة . تبادلا أحاديث طويلة في مواضيع

نادراً ما كانا يتفقان

عليها . كان رفيقاً ممتعاً إلى حد لا يصدق .

وعندما يحتاج أن يعمل

لساعة أو اثنتين , كانت تتكور في مقعد
قريب وفي يدها مجلة , لتبقى
في رفقته . بالنسبة إليه , كانت هذه هي
السعادة المثالية , لكنها أيضاً
تمثل تحدياً إذ راحت تكافح ببطء لتعود على
فكرة أنها حامل منه .

كان شعورها الجسدي رائعاً , ولكن كان
عليها أن تتوخى الحذر

من ناحية الأكل و التعب . واعتاد أن
يغیظها مداعباً لبطء حركتها ,
لكن جسدها كافأها على هذا الاحتراس
الذي تعلمته فلم يعد الغثيان
بسبب لها مشكلة كبيرة , ولم تشعر بالدوار
سوى مرة واحدة عندما
وقفت بسرعة فائقة . كما أن جسدها تغير
إلى درجة أن راوول نفسه
لاحظ أنه امتلاً . لن تستطيع أن تخفي حملها
أكثر إلا أن خوفاً بالغاً

تملكها من أن تخبر راوول بحملها هذا .
هذه المرة قررت ألا تبني قصوراً من رمال .

كل صباح , وقبل أن

تقرب منه لتوقظه بقبلة , وهذا ما أدركت

أنه يجب , كانت تذكر

نفسها بفتور ببعض الحقائق . . .

إنه لا يجبها , وشعوره نحوها هو رغبة وحسب

, وهذه الرغبة

تجعله عشيقاً لا يشبع . أما تمضية ساعات في

الحديث معها , وأما

الحنان والاهتمام البالغ بها اللذان يظهرهما

أحياناً , فهذا موضوع

آخر . على أي حال , إنه رجل محنك إلى

حد كبير ولا يمكنها أن

تتصوره يتصرف بفضاظة أو بجهل . إنها

ليست زوجته بكل معنى ا

الكلمة لأنه أعطاهها ذات مرة أجراً للعب

دور العروس .

إنها الزوجة التي اشتراها وليست الزوجة التي
اختارها . كما أنها

لا تتمتع بالصفات التي في الرفيقة التي

سيختارها في النهاية ! وتلك

الصفات كانت قد استخلصتها منه واحدة

تلو الأخرى , من دون أن

يدرك كم المعلومات التي يكشفها , فهو يجب

السمراوات الطويلات

وآخر عشيقاته كانت رائعة الجمال . إنه يعتبر

الخلفية و النشأة هامتين

للغاية فضلاً عن التعليم الجامعي . وهي

فاشلة من كافة النواحي

هذه . فهي ليست ولن تكون أبداً الزوجة

التي سيرغب في استمرار

زواجه بها .

لهذا , سيشكل خبر حملها صدمة بالغة له

وكارثة أيضاً . ولهذا

السبب راوغت طيلة سبعة أيام حيث عاشت

كل لحظة ثمينة منها

وكأنها آخر لحظات ستمضيها معه . الوقت

حان الآن للتحدث إليه .

ارتدت سروالاً حريراً أزرق بلون عينيها مع

بلوزة مطرزة تناسبه .

منذ شهر فقط كانت تكثر من الزينة على

وجهها , لكنها خفت من

ذلك الآن . لقد قدمها راوول إلى عالم مختلف

, ومن الطبيعي أن

تفحص النساء في ذلك المجتمع الخاص .

لطالما كانت شديدة

الملاحظة وسريعة التعلم , وسرعان ما أدركت

كيف يمكن أن ترفع

شأن مظهرها مقارنة مع الآخرين . أطالت

شعرها بحسب ذوق

راوول . . . إذ قال لها ذات مرة بإعجاب

بالغ : ((إنه ذو لون خلاب

أريد أن أراه مسترسلاً على ظهرك أشبه

بسلاسل من فضة يا

جميلتي)) .

حينذاك , أجابته متذمرة : ((سيتطلب وقتاً
طويلاً حتى يصل طوله
إلى كتفي فقط)) .
. سأنتظر . يمكنني , إذا أردت شيئاً , أن
أكون صبوراً جداً .
وكلي تسره , وعدته بألا تقص شعرها مرة
أخرى . لم تسمح
لنفسها بأن تتساءل كم من الوقت سيتطلب
ترك شعرها الحاد

الأطراف حتى تصبح تسريحتها هذه , أكثر

الأمر التي سيشعر نحوها

بعدم الاكترات .

كانت المائدة قد أعدت على الشرفة للعشاء

. وكانت جميلة للغاية

بفضل فانوس الزجاج الملون المعلق على

شجرة التين العتيقة

و الشموع التي تتألق في كؤوس بلورية

والصحون الخزفية المذهبة .

ومن بعيد من بين النباتات الوافرة , كانت

ترى بركة السباحة تتألق في

ضوء القمر .

كانت هذه فيلا راوول . أحياناً كان يزورها

مرة في السنة ,

وأحياناً لا يفعل . كان لديه أملاك كثيرة في

أنحاء العالم , فهو لا

يحب الفنادق . حتى هنا , في أحد ابعدها

المساكن في الجزيرة , كان

راوول يتلقى أفضل الخدمات , فضلاً عن

تواجد طاه عند الطلب

يحضر له أشهى الأطباق . ومع هذا الثراء

الذي لا يمكن تصوره ,

كان راوول يعتبر تمتعه بمعدل من الحرية و

الراحة لا يحلم بمثله

الآخرون أمراً مسلماً به . كان صاحب

سيطرة وسلطة , فكيف سيكون

رد فعله على ما ستخبره به ؟ على وضع لم

تسمح له بأن يسيطر

عليه ؟ وارتجف فمها الناعم للمشاعر

العنيفة التي جاهدت لكي

تكبحها .

خرج على الشرفة وتقدم منها وهو يقول

بصوت أجش : ((استديري

نحوي)) .

فأطاعته بشيء من التصلب فيما أضاف : ((

تبدين جميلة . . إعتبري

نفسك محظوظة إذا استطعت التحكم في

نفسي إلى ما بعد العشاء)) .

أثناء الصمت المتوتر , بللت فمها الجفاف

بجرعة من المياه

المعدنية .

استقرت عيناه الذهبيتان الداكنتان عليها ,

والتوى فمه الجميل

هازلاً : ((تقولين إنك قصيرة و سميئة . . لا

أظن ذلك . .)) .

احمر وجهها تعاسة . أرادت أن تبقي شفيتها

مطبقتين , و تندفع

إلى ما بين ذراعيه تحتضنه بعنف , لتمسك
بالسعادة التي منحها
إياها .

وأردف : ((كنت كئيبه متقلبة المزاج في
الأيام القليلة الماضية)) .
فنظرت إليه بارتباك : ((أ . . أنا . .)) .
في لحظة تضحكين كالمجنونة , و في
اللحظة التالية تملكك
الكآبة و تسيل دموعك . هذه ليست
عادتك .

أجفلت هيلاري , ثم شجعت نفسها على

الوقوف بصلافة

الصخر , لتقول : ((لدي ما أريد أن

أخبرك به)) .

* * *

نهاية الفصل ((الثامن)) . . .

.....

.....

.....

.....

.....

.....

9.

أكرهك

ارتسمت على وجه راوول البالغ الوسامة

ابتسامة وقحة : ((لا

تعتبري ما قلته انتقاداً لك . أنا رجل عملي ,

وأرى موهبتك الطبيعية

في التمثيل المسرحي خلافة . ولكن هل لنا

أن نأكل أولاً ؟ علي أن

أعترف بأنني جائع للغاية)) .

أخذت تعض شفتها السفلى متوترة . ثقته

البالغة بأنها لا يمكن أن

يكون لديها ما يستحق أن تفضي به إليه

أفقدتها توازنها . جلست أمام

المائدة , وعندما قُدم لهما الطبق الرئيسي ,

كان حديثهما يقصر على

إجابات مختصرة لا تتعدى الكلمة الواحدة .

قال : ((عندما تصبحين

بهذا الهدوء , أشعر بالقلق)) .

فقلت بضيق : ((إنني أكثر الكلام أحياناً

((.

. لكنني اعتدت ذلك حتى أصبحت أحبه , يا

عزيزتي .

وأخذ يلامس بأصابعه الخشنة أصابعها , التي

كان تريجها على

غطاء المائدة . أضاف : ((يبدو أنني أخطأ

التقدير حين قلت لك ما

معناه إن ما لديك لا يمكن أن يكون هاماً))

.

ابتلعت ريقها بصعوبة : ((نعم . . . لكنه

ليس أمراً يمكنك التكهن به

و أنا . . .) .

بدا العنف في نظراته : ((هل عاشرت ذلك

الرجل الذي فاجأته

على عتبة بابك في لندن ؟) .

صدمها هذا السؤال البارد فهتفت : ((

غاريث ؟ لا لا . طبعاً لا !) .

فقال بجمود : ((إني أتحق وحسب من أسوأ

سيناريو تخيلته) .

فقاطعته : ((هلا تصغي إلي قبل أن تقول

شيئاً ؟) .

. لم أعود أن يصيح بي الناس لأسكت .
. لا تغضب مني . . أعرف أن ما سأقوله

صعب التصديق ولكن

لا تغضب مني نحن مسؤولان عن ذلك ,

نحن الإثنين .

توتر فكه وتأملها بعينين ضيقتين : ((ما

الموضوع ؟ لصبري

حدود !)) .

أخذت تعبث بالطعام وقد تملكها الخوف ,

وشعرت بفراغ في

معدتها لعدم تمكنها من تناول سوى القليل

من الطعام .

. أنا حامل . وقد حدث هذا في الأسبوع

الأول حين كنا معاً .

تملكه شحوب بالغ , فأردفت : ((كنت

أعلم أن هذا سيصدمك ,

فأنا صُدمت أيضاً)) .

أخذت عيناه الذهبيتان اللامعتان تتفحصانها

وتتأملان جسدها

المتشنج . وبحركة جبارة , انتصب واقفاً وسار
إلى حائط الشرفة
بخطوات واسعة أشبه بنمر يبحث عن فريسة
, ثم وقف ينظر إلى
الليل .
وفي هذا الصمت الطبق , راح اندفاع
الأمواج إلى الشاطئ
يصدر صوتاً عالياً موحشاً .
تحنحت بارتباك : ((لم أحلم قط بأن نعيش
كزوجين . وعندما

حدث هذا , لم يخطر في بالي ما يتعلق بمنع
الحمل . أمور كثيرة
حدثت بيننا , وكنت أعلم أنه ينبغي علي
احترام شروط اتفاننا
فتملكني شعور بالغ بالذنب . . كل هذه
الأمر وقف في طريقي .
كان لا يزال يوليها ظهره فتلهفت إلى أن
يواجهها . كانت كتفاه
العريضتان متصلبتين من التوتر وعضلاته
المفتولة واضحة تحت

قماش قميصه الرقيق الأسود القصير الكمين

.
أعلم أنك منزعج من هذا . . لا بأس ,

أفهمك . فأنت لم تكن

تتوقع أن يتطور أمرنا ليصل إلى هذا الحد .

ولكن أنا أيضاً لم أتوقع

ذلك إلا أنني لم أستطع أن أتصرف كمثل يجب

. . وهكذا , فلندع

مناقشة هذا . . .

عند سماعه توسلها المتحشج كي يتفهم

الأمر استدار وألقى

عليها نظرة كئيبة من عينين مظلمتين عديمتي

الإحساس ما بعث في

جسدها قشعريرة . وقالت متلعثمة : ((أعلم

. . أنا أعلم . لعلك ي

تريد أن نناقش الأمر . قد لا يكون هذا

طفلاً اتفقنا على أن

ننجه , لكنني سوف . . سوف أرحب به

على أي حال . رغم أنني

أشعر حالياً بالخوف و القهر)) .

سكب لنفسه كأس ماء وابتلعها بجرعة

واحدة . بدت الخشية على

وجه هيلاري فنهضت من خلف المائدة ثم

تقدمت إلى وسط

((الفيراندا)) بساقين متصلبتين : ((أرجوك

.. قل شيئاً . . .)) .

أنت الآن والدة ابني مستقبلاً .

بدت عبارته أشبه بجملة مهينة بأدب ,

فجمد الدم في عروقها

وأصابها الشحوب , بينما تابع يقول : ((

علي أن أكون شديد الحذر في

ما أقوله لك . للزوج الحامل حقوق كثيرة

أقلها أخذ حالتها بعين

الاعتبار . منذ متى عرفت هذا ؟) .

. منذ استدعيت لي تلك الطيبة الرقيقة بعد

أن أغمي علي .

أطلق راوول ضحكة خشنة : ((أ منذ ذلك

الحين ؟ كيف استطعت

إخفاء بشارتك هذه طوال هذا الأسبوع ؟))

. بسهولة . . لو استعطت الهرب منها ,

لفعلت . لكني لم أشأ . .

لم أشأ أن أفقدك .

نظر في عينيها بقسوة : ((أنت لم تملكيني

قط , ما عدا بالنسبة إلى

النقطة الأساسية)) .

فهمست بصوت أجش : ((أعلم هذا ,

لكن هذا يوشم أن يدمر ما

بيننا)) .

. لا يفترض أنك تعلمين بماذا أفكر أو أشعر

أو حتى ماذا أنوي

أن أفعل لاحقاً .

. أنت حر في أن تخبرني بما تفكر فيه , فأنا لن

أتأثر .

كانت متلهفة لرم الهوة التي فتحت بينهما ,

وإذا كانت الحقيقة

ستؤلمها , فليكن . تصلبت ملامح وجهه :

((حسناً جداً . ولماذا

تدهشني فعلتك هذه ؟ الأطفال في أسرة

ساباتينو يأتون دوماً بثمان

باهظ ((.

فقلت بعنف : ((هذا لا ينطبق على طفلنا

((.

بدت في عينيه نظرة قاسية امتزجت بالسخرية

وهو يتجاوزها

ليدخل إلى المنزل وكأنها غير موجودة . وبعد

لحظة من الارتباك

ركضت خلفه فأدركته في الردهة الرئيسية

يتها لمغادرة الفيلا , فقالت

مرة أخرى بصوت مرتجف فيما كانت عيناها

حازمتين : ((هذا لا

ينطبق على طفلنا . . هل أنت خارج ؟))

.

طرحت سؤالها الأخير مقطبة , فنظر إليها

ساخراً : ((ما رأيك ؟)) .

. إلى أين ستذهب ؟

. لا شأن لك بهذا .

بعد فترة طويلة من ذهابه , بقيت تتسكع في
الردهة محتضنة نفسها
وكأنها تشعر ببرد . وأخيراً , تماكنت نفسها
وخرجت عائدة إلى
الشرفة , لتجد أن الخدم رفعوا الأطباق
ورتبوا المكان . فكرت في
الحياة في أحشائها , وتساءلت إن كان الجنين
يعاني لأنها لم تأكل
فاتسعت عينها كالمجنونة , وطلبت خبزاً
محمصاً وكاكاو لعشائها .

حاولت طيلة الوقت ألا تفكر في تصرف

راوول الذي بدا كأنه

يحتقرها ويستخف بها كلياً , أو يعتبر كأنها

خطت متعمدة لهذا

الحمل لكي تبيعه ابنه بأعلى ثمن ممكن . لقد

جرح شعورها لكنها ما

زالت تفضل أن يكشف عن شعوره . وتمنت

لو أنه لم يخرج من

البيت . وبعد ساعة , اتصلت به على هاتفه

الخليوي و سألته ببشاشة

زائفة : ((هل أنت عائد إلى البيت قريباً ؟

((.

فأجاب بصوت خافت بارد : ((لن أعود

إلى البيت على

الإطلاق . ((

فتمتت بقلق : ((قبل أن تقرر ذلك ،

أنبهك إلى أن بقاءك في

الخارج طوال الليل سيجعني غاية في التعاسة

. لا أظن أن بإمكانني

أن أبقى هنا جالسة بانتظارك , بل سيتمكني

القلق فأخرج لأبحث

عنك . . . ((.

. لا أريد أن نسترسل في هذا الحديث .

وأقفل الخط في وجهها .

وبعد نصف ساعة , عادت فاتصلت به .

وعندما أجاب سمعت

صوت امرأة بصوت خافت قربه , فاعتصر

قلبها وسألته شاعرة

بالغثيان : ((هل أنت مع امرأة ؟)) .

. إذا اتصلت بي مرة أخرى فلن أجيب .
. يمكننا أن نتشاجر . . . لكنني لن أتسامح

أبداً بالنسبة إلى

الخيانة الزوجية . . .

واختنق صوتها بالدموع .

. الابتزاز العاطفي لا ينجح معي .

. ماذا عن النوبة الهستيرية ؟ اسمع أعلم أنني

أبدو مخبولة .

ولكن كل ما أريده هو أن تعود إلي لتحدث

.

. لكنني لا أريد ذلك , وأنت لن تجعليني أفعل

ما لا أريد .

كانت الساعة الواحدة صباحاً عندما وقف

راوول على عتبة باب

غرفة النوم , وكانت هي تستلقي مستيقظة في

ضوء القمر بعد أن

تركت الباب مفتوحاً لكي تستطيع سماع

صوت خطواته . انتصبت

جالسة وأشعلت النور الجانبي , راح راوول

يحدق إليها من آخر

الغرفة و قد تشعث شعره الأسود واسود

فكه العنيد بلحيته النامية .

ومن دون تردد , نزلت من سريرها ثم ركضت

نحوه تلقي بنفسها

عليه . لقد عاد . كان هذا ما يهمها في هذه

اللحظة .

. لا . . .

كلمة حاسمة وعنيدة للغاية بعد أن أبعدها

عنه بيدين باردتين .

تراجعت خطو وقد صدمها هذا الرفض ,

واعي فجأة إلى أنها لا

تبدو في أحسن حال بشعرها الأشعث

وعينيها الحمراءوين

المنتفختين . كما أدركت بشكل مخيف أنها

عاجزة عن أن تقول أو

تفعل أي شيء لتتمسك به فهي تعلم أن هذا

لن ينجح . حتى إذا

زحفت على الأرض فسيخطو من فوقها

ويزداد احتقاره لها .

قال : ((لقد توصلت إلى قرار)) .

فتشجعت وقالت : ((في الزواج , القرار

يحتاج إلى أن يتفق عليه

الطرفان)) .

فقال من دون تردد : ((ليس إذا كان

أحدهما مخطئاً)) .

أخذت نفساً بطيئاً . إذا تشاجرت معه

فسيزداد غضباً . لن يضرها

أن تظهر بعض الخضوع والمذلة ما يمنح فرصة
للمشاعر لتهدأ .

قال ببطء ومن دون أي تغيير في ملامحه : ((

أريدك أن تخضعي

لفحص طبي للتأكد من تاريخ الحمل . وقبل

أن يولد الطفل أريد أن

أتأكد من أنه من صلبني)) .

تراجعت مبتعدة عنه وقد تشنجت ملامحها

من الألم لهذا

الاحتقار وهمست : ((هل لديك شكوك من
هذه الناحية ؟)) .

وتملكها الفرع ! إنه يشك في أبوته لهذا الجنين
الذي تحمله .

. بعض النساء يرتكبن جريمة من أجل نسبة
مئوية ضئيلة مما

سيكسب هذا الطفل من الناحية المالية .
. لا أظن أن أي امرأة مستعدة لأن ترتكب

جريمة لكي تكون
مكاني في هذه اللحظة .

وأرجفت لأنه , وبدلاً من أن يعود ليتفاهما ,
عاد ليبدد آمالها .

وأردف وكأنها لم تتكلم : ((من الطبيعي أن
أطالب بفحص

الحمض النووي بعد ولادة الطفل , فلعلك
حملت أثناء الأسبوعين

الذين أمضيتهما في لندن . أظن أن هذا غير
محمّل , لكنني سأكون

أحمق إذا لم أتأكد تماماً)) .

فقلت وظل ابتسامة على فمها المتوتر : ((

نعم . . . ولماذا تتردد ما

دام لديك فرصة ذهبية أخرى لإذلاي ؟ ((.

. وماذا كنت تتوقعين ؟ أن أصدقك ؟ أرفض

أن أصدق أن هذا

الحمل حدث صدفة .

واستقرت عليها عيناه الساخرتان : ((على

أي حال , حملك بابني

يضمن لك العيش برفاهية طوال حياتك ((.

قالت بكدر بالغ : ((أنت لا تنصفي . إن

كنت لا تثق بي على

الإطلاق فكيف يمكنني أن أثبت لك أنك

ظلمتني بظنك هذا ؟)) .

فقال : ((لكنني لم أظلمك . . .)) .

. اليوم قلت إنك لم تعد تعتبرني ساعية خلف

المال .

. بعد ما تبين لي الآن أقنعيني بالعكس . . .

. أنى كان لى أن أعلم أنى سأحمل بعد أسبوع

واحد معك ؟ ما

كنت لأختار ظرفاً مماثلاً لأحمل بأول طفل

لى . لماذا أرغب بأن

ألصق بولدى لعنة والد يكرهه , ويكرهنى أنا

؟

. لا أكره أبوتى , ولا أكرهك أنت .

فبسطت يديها بإحباط : ((كل غضبك سببه

هو أنى لم أوضح لك

مسألة زواجنا حين كنت فاقداً لذاكرتك . .

((.

. لكنك بعد ذلك , كذبت هلي مرة بعد مرة

.

. لم أكن أظن أنني أسبب ضرراً . . . لقد

انجرفت قليلاً . . .

كنت أعيش حلمي . . .

قال شامتاً بسخرية : ((ها أنت ذي أخيراً

تنطقين بالحقيقة . لقد

أغواك أسلوب حياتي ومستواها إلى حد لم

تدركي معه إلى أي

حضيض عليك أن تهوي لتستمتعي بهما ((.

فأطلقت ضحكة قصيرة : ((لمعلوماتك

الخاصة , كان حلمي زواجاً

برجل يعاملني على قدم المساواة . نعم , كم

كان تصرفي محزناً . أن

أعطيك دوراً في سيناريو فيلم كهذا ! أن

أحلم بالرجل الذي لم يقبل

بأن يخرج معي ولو مرة واحدة حين توصلت

إليه ! لكنه كان حلمي أنا

وليس حلمك . لهذا أنا . . .)) .

. يا إلهي ! جعلتني أعيش حلمك الغبي .

رفعت رأسها عالياً والتمعت عيناها كالماس :

((الغريب أنك

بدوت غاية في السعادة حين كنت تعيش

حلمي معي . . .)) .

تصلب جسده وكأنها صفعته فيما شحب

وجهاها وبان التمرد

عليها . ساد صمت مشحون بالتوتر ولمه

غضب أسود في نظراته

العنيفة , لكنه قال : ((دعينا نركز كلامنا

على الطفل)) .

وبصعوبة بالغة حاولت أن تركز ذهنها المرهق

على المهمة الصعبة

وهي إقناع راوول بأنها لم تخطط لهذا الحمل :

((اسمعني , أرجوك ,

عندما عشت معك كزوجة لك لم أفكر في

النتائج . لك أكن مضطرة

من قبل إلى الاهتمام بمسألة منع الحمل .

كنت لا مبالية ليس إلا)) .

ونظرت إليه متوسلة قبل أن تردف : ((كما

أنك أنت أيضاً لم تفكر

في المسألة)) .

فرفع حاجبه ساخراً : ((كانت موانع الحمل

من آخر اهتماماتي .

فقد كنت أعاني من فقدان الذاكرة وأعيش

مع امرأة غريبة عني

تماماً ((.

. أذكر إنك وجدت تلك الفكرة مثيرة أكثر

مما اعتبرتها .

تجرات على أن تذكره بذلك متلهفة إلى

تقويض حكمه بنفسه

واختراق تحفظه .

. اخترت أن أثق بك وكانت تلك غلطة .

وككافة أخطائي توقعت

أن أدفع الثمن . لكن , ولكي أعرف
شخصيتك بالضبط , كان عليك
أن تقيمي معي . صاحبة مشاريع دخلت
سريري لكي تربح ثروة
كبيرة ! .

ثارت ثائرتها وأخذت ترتجف وتعاضم في
نفسها الألم و التعاسة :
((إذا لم تخرج فسأصرخ . سأهاجمك
وأضربك !)) .

نظر إليها وكأنها طفلة , ثم حملها بين ذراعيه

قبل أن تعرف نيته :

((كفى تمثيلاً)) .

فصرخت به غاضبة : ((أنزلي على الأرض

((.

. لا . لقد تأخر الوقت ويبدو عليك

الإرهاق . لا بد من ان

تنامي . . .

. سأذهب إلى السرير حين أشاء . . .

. لماذا تظنيني عدت هذه الليلة ؟

طرح هذا السؤال بوضوح بالغ ما جعلها

تكف عن المقاومة

وتسترخي بين ذراعيه وهي تجيب : ((لا

أدري . . .)) .

. أنت زوجتي وحامل بابني ولا أريد أن أغامر

بصحتك مهما

بلغ مقدار غضبي .

يا له من رجل حقير . . . إنها تكرهه . . . !

وأغمضت عينيها بشدة . أرادت أن تصرخ
في وجهه لكنها كانت
تعلم أنه سيقراً الكثير من وراء صراخها .
بقيت هادئة كالفأرة وهي
تراه يعيدها إلى السرير . كان يتصرف وكأنها
لوج زجاج مشقوق ,
وتذكرت رغبته العنيفة على الشرفة منذ
ساعات قليلة فكادت تبكي .
لقد دثرها لتوه وكأنها جدة جدة جدته ولأول
مرة نام بعيداً عنها .

شعرت بهذا الرفض وكأنه سكين غرز في

صدرها . إنه لا يفهمها

بهذا أن ما من رباط عاطفي بينهما وحسب ,

بل يعدها عنه جسدياً

أيضاً .

في الصباح التالي عادا بالطائرة إلى سويسرا .

أثناء الساعة التي

أمضتها في الطائرة , تخلت عن محاولته

التظاهر بأنها تشاهد الفيلم

الذي اختارته . وكان راوول يعمل على

الكمبيوتر , فأخذت تتسكع

من حوله لكنه تجاهلها .

قالت وهي ترتجف : ((لا بأس . لقد فهمت

ما تريدني أن أفهمه .

أنت تمنى لو أتوارى من حياتك كجني أثيرم

((.

نظر إليها عابساً من دون أن يتأثر , فوضعت

يديها على وركيها

وقالت بجرارة : ((حسناً , لا تنظر إلي وكأنني

طفلة بحاجة إلى رعاية .

إذا كنت أثقل على أعصابك إلى هذا الحد ,

فهي . . طلقني)) .

هب واقفاً فأشرف عليها بقامته العملاقة

بشكل مهدد , وأخذ ينظر

إليها بعنف : ((كنت أتساءل كم من الوقت

ستحتاجين قبل أن تتقدمي

بهذا الطلب . آسف إذا خيبت أملك , لأن

الوقت لم يكن بعد كي

تتحري ((.

. ماذا تعني بقولك هذا ؟

. لا انفصال ولا طلاق . ستبقين في سويسرا

حيث يمكنني أن

أراقبك .

رغم ما يظنه فيها من طمع ومكر , لا يزال

مصمماً على أن

القصاص الوحيد هو أن يبقيا في سويسرا

معه . خف الألم في

قلبها قليلاً وشق شعاع ضئيل من الأمل

طريقه . لعلها مخطئة في

توقع الكثير منه بهذه السرعة .

وأخيراً تشجعت وسألته : ((ما هو شعورك

الحقيقي حيال

الطفل ؟)) .

. كنت أنوي إنجاب واحد في النهاية .

قال هذا متدمراً كما لو أنه يتحدث عن

أضرار كمي قميص :

((و الآن , وبما أنه سيأتي في وقت لم أتوقعه
 , ليس أمامي من خيار
 سوى أن أتكيف مع هذا الوضع)) .
 توترت ملامحها وخرزت أظافرها في راحتها
 قبل أن تعود إلى
 مقعدها . ستمنحه بعض الوقت , فهو عنيد
 جداً , ولا ذع جداً في
 شكوكه . إنه بحاجة إلى مزيد من الوقت ,
 بحاجة إلى تفهمها . إن
 حبها له كبير , ولا بد أن يعود إليها .

ولكن هل سيتقبل راوول هيلاري روس
الحلاقة , زوجة له ؟ و إلى
متى سيتقبل بقاءها ؟ يبدو أنه يظن أن من
واجبه أن يرها طالما هي
حامل بطفله . لكن لعله يخطط للطلاق
مباشرة بعد الولادة . ولا بد
أنه سبق واطلع على رأي القانون في مثل
هذه المسألة .

إنه لم يتقبلها قط كزوجة . لكن , هل

يمكنها أن تلومه ؟ فهو لم

يطلب منها قط أن تكون زوجته وتعيش معه

كما أنه لم يدعها لتتجرب

له طفلاً . من المهم أن تواجه الحقيقة حتى

وإن كانت مؤلمة .

وأقرت بتعاسة بأن راوول يشعر و كأنه وقع

في شرك فهو يفضل

حرية .

إذا ما أسكتت كبرياءها مرة أخرى ،

وأصبحت مطيعة و هادئة حتى

تستقر الأمور ، فما هو أقصى ما ترجو أن

تتلقاه من الرجل الذي

تحب ؟ أن يعاشرها مرة أخرى عندما يرغب

في ذلك ؟ يلقي إليها

بقطعة ثمينة من المجوهرات إذا ما كان أداؤها

جيداً ؟ وهل سيؤنبها

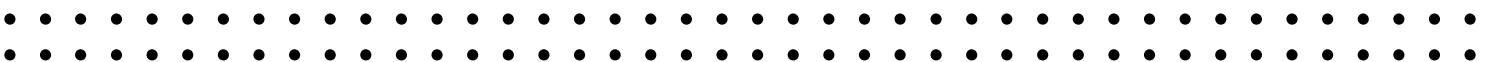
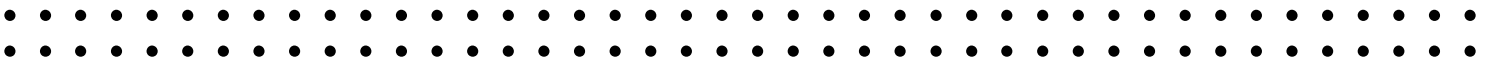
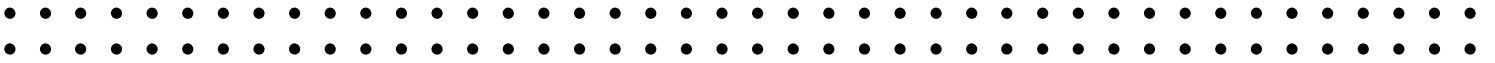
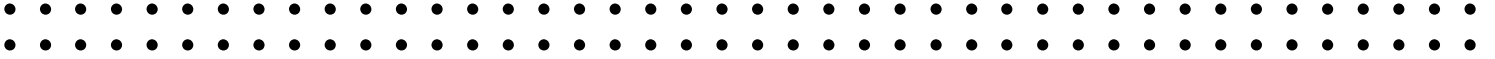
دوماً على أخطائها فيجعلها تشعر بالحقارة ؟

هل هي مستعدة حقاً لأن

تدع هذا يحدث ؟



نهاية الفصل ((التاسع)) . . .



.....
.....
. 10

أحبك

في الصباح التالي , أخذ راوول هيلاري إلى

أخصائي في امراض

النساء .

أربك راوول هيلاري بطرح الكثير من الأسئلة

المعقدة على

الطبيب الذي بدا مسروراً وهو يجيب عليها

مع تفاصيل العملية . أما

هيلاري فقد شعرت بأن كرامتها جرحت وهي

ترى راوول يكشف عن

اهتمامه بطفلها للطبيب ولكن ليس لها . .

ثم تساءلت بفرع عما إذا

كان زوجها يمثل للحفاظ على المظاهر فقط

.

في الأيام الثلاثة التي تلت , كانت تعاسة

هيلاري في ازدياد .

كان راوول يتوجه إلى المصرف مع شروق
الشمس ليعود في المساء
متأخراً . لم يتناول معها وجبة واحدة , كما
لم يقم بأي جهد لكي
يخفف التوتر بينهما . لكنه اعتاد أن يتصل
بها هاتفياً مرتين في اليوم
متفقداً حالتها . بدا أن هذه هي العلاقة
الشخصية الوحيدة التي كان
مستعداً لها لأن الباب الموصل بين غرفتي
نومهما بقي موصداً . كما

أن تهديه البارد معها كان يبعث القشعريرة في
كيانها .

وفي اليوم الرابع , استيقظت مع بزوغ الفجر
فاستحمت وارتدت

ملابسها لتبدو مقبولة في رفقته دون إفراط في
الأناقة أو الإثارة , ثم

أسرعت تنزل السلم لتشاركه الفطور .

توتر وجهه القوي , وأخذ يتأملها مقطباً .
. لماذا استيقظت في هذه الساعة المبكرة ؟

. أردت أن أراك . وهذا لا يكون إلا على

الفطور , أو بالمقاطعة

المحرمة في مكتبك .

وبدت ابتسامة حازمة على شفيتها وهي تنظر

إليه برجاء , وكأنها

تقصد المزاج بكلامها هذا .

استقرت عيناه الذهبيتان على العباءة التي

كانت ترتديها , والتوى

فمه الشهواني الواسع بشكل خفيف للغاية .

كانت هذه العباءة المصنوعة من أفخر أنواع

الحرير ، تغطي

جسدها من عنقها حتى أخصص قدميها بحشم

اعتبرها غاية في

الخداع . وكان خصرها النحيل بارزاً ليس

بسبب الخزام العريض

وحسب بل بسبب امتلاء صدرها وبروز

وركيها .

وضع فنجان قهوته على المائدة بعنف فيما

تناولت هي بعض

((التوست)) وقلبها يخفق كالطبل . كانت

تعي , وقلبها يتعذب , أنه

يتأملها وأن التوتر يسود الأجواء .

. أنا . . .

بللت شفيتها بلسانها وهي تلتفت لتواجهه

مسكته كرامتها ومن

دون أن تفكر في ما سيكلفها ذلك : ((إني

أفتقدك . . .)) .

. لا أريد أن اسمع هذا .

وألقى جانباً بصحيفة الصباح ثم هب واقفاً .
وبسخرية لاذعة قال
فيما هي تنظر إليه وقد اتسعت عيناها
وانفرجت شفتاها بدهول : ((لا
أرغب في ذلك حتى لو صعدت إلى المائدة
ورقست)) .
ورمقها بنظرة ازدراء لاذعة : ((عندما أرغب
فيك , سأخبرك)) .
اغرورقت عياناها بدموع الإذلال وجلست
تصغي إلى سيارته وهي

تبتعد . حسناً ! وعذبتها المشاعر . لن تدعه

يفلت من عقابها بعد

معاملته لها بهذا الشكل وكأنها مومس . ما

كان ينبغي لها أن تعود

معه من سردينيا , كان هذا خطأً بالغاً . لقد

اظهر بوضوح احتقاره

لها , وستكون ساذجة إذا تركت زواجهما

ينتهي بهذا الشكل . قبل أن

تغادر سويسرا , عليها أن تنتقم لكرامتها

وتجعل راوول يرى كم

أخفاً في حكمه عليها . وأخذت تدرع

غرفتها جيئة وذهاباً لتقرر في

النهاية طريقاً واحداً سيمكنها من تحقيق هذه

النهاية . عليها أن توقع

وثيقة قانونية تثبت أنه ليس لديها أي أطماع

مادية , هي تعرف

الشخص المناسب الذي عليها أن تلجأ إليه

. إنه محاميه بول كوريرو

الذي سيسره جداً أن يراها توقع على وثيقة

تؤكد أنها لن تطالب

بأموال ساباتينو . بعدئذ , ستغادر سويسرا

محفوظة الكرامة .

وعندما وصلت في وقت لاحق , إلى مكتب

المحامي , أخذت

إليه مباشرة . أدهشها أن يستقبلها بول على

الفور وأجفلت حين

حياها وشكرها كثيراً على قومها .

. أرادت أنيا أتروركما , أنت وراوول ,

وتعتذر , لكنني لم

أوافق على هذا وفضلت أن أدع الأمور تهدأ

أولاً . لقد هددتك

وأخفتك . صدقيني , هذه ليست عادتي في

معاملة النساء .

فقلت تخفف عنه : ((أنا واثقة من ذلك))

.

. عندما أدرك راوول أن اختفاءك كان بسببي

أنزل السماء على

الأرض , وأنا لا ألومه .

. لم يكن هذا ذنبك .

. لا تحاولي مواساتي . لقد تدخلت في أمر

ليس من شأني . بدا

واضحاً أن علاقتكما كانت قوية للغاية وأنا

لا أعلم ذلك فتسرع

وتصرفت بغطرسة معتقداً أنني أنقذه . وهل

راوول بحاجة إلى إنقاذ ؟

وكأنه . . .

وضحك بارتباك .

. على أي حال , لقد انتهى هذا كله الآن .

في الواقع , جئت

لأراك لسبب مختلف جداً .

وأردفت محاولة التظاهر بالهدوء : ((إنني

بحاجة إلى محام لينص

وثيقة قانونية , وبسرعة)) .

عندما حدثته باختصار عما تريد , لم يستطع

بول أن يخفي ذعره :

((مستند من هذا النوع يجعلني في موقف

خدمة مصالح متضاربة . لا

يمكنني أن أمثلك وأمثل راوول بينا أنتما

متخاصمان في القضية

نفسها . أنت بحاجة إلى نصيحة محام مستقل

."

تصلب جسمها إحباطاً ووقفت : ((لا بأس

((.

تردد بول قليلاً , ثم عاد يقول باهتمام : ((

بصفتي صديقاً , كما

أرجو أن تعتبريني يوماً ما , أريد أن أنصحك

بعدم سلوك هذا

الطريق . أخاف كثيراً من أن يسيء راوول

فهم دوافعك فتجرح

كرامته)) .

في طريقها إلى المنزل , أقرت هيلاري بأن بول

رقيق للغاية . إنه

نقيض راوول ولا يمكن أن يوافقه على طريقة

تفكيره على مشاعره

العقلانية الباردة . مهما حاولت , لا يمكنها

أن تجمع بين راوول

ومفهوم الكرامة المجروحة في الوقت نفسه .

يرى راوول نفسه بعيداً عن الخطأ وعن

الانتقاد . وهي وحدها

المعرضة دوماً لجرح الكرامة .

إنها تتساءل الآن عما جعلها تصل إلى هذا

الحد في سعيها كي

تثبت لراوول أنها لم تبحث عن الثراء منذ

البداية ؟ لِمَ ما زال هذا

يهمها ؟ لا يجبها . . وهو يظن بها الأسوأ .

حتى رؤيته لها على

مائدة الفطور أزعجته . من الصعب أن تتذكر

كم كانت سعيدة معه

منذ أيام قليلة فقط , و الأصبعب من ذلك

هو أن تتقبل فكرة أنهما

سيتجاوزان بسلام هذه الفترة المريرة .

المشكلة هي أنها لطالما رضيت بالقليل مع

راوول ساباتينو , كما

أن ما تلقته عن استحقاق قليل للغاية .

لكنها أصبحت من النضج

بحيث يمكنها أن تبحث عن مصلحتها ,

فتحسب حساباً لاحتياجاتها ,

ومن ثم تنسحب من العلاقات المدمرة .
لن يخبر راوول إيما ق بحقيقة زواجهما . في

الواقع , لقد

عجبت لنفسها كيف صدقت تهديده القاسي

ذاك . فهو نبيل للغاية ,

لكنه ما كان ليتباهى بهذا لأنه يعتبر المباهاة

ضعفاً . لعلها تشبثت

بذلك التهديد واتخذته عذراً لتبقى مع راوول

إذ كانت متلهفة إلى

إيجاد أي عذر . لكن الأمر انتهى الآن

وعليها أن تسترد كرامتها . إنه

فاسد وقد حان وقت خلاصها منه .

رن هاتف السيارة , و كان المتصل راوول .

مجرد سماع صوته

العميق كان كافياً كي يجعل مشاعرها تفيض :

((أرجوك ألا تسألني

عن حالي لأنني أعل أنك لا تهتم حقاً لأمري

. سأتركك و أرجو أن

تعيش مع أموالك الغالية على قلبك بالرفاء

و النعيم إلى أبد الآبدين)) .

ووضعت السماعه بعنف فيما أخذت ترتجف

. ارتعشت لما خرج

لتوه كالبركان من بين شفيتها , لكنها الحقيقة

وهو يستحق أن

يسمعا . لقد رمى بحبها في وجهها ورفضه ,

وهي ستصب حبها كله

على طفلها بدلاً منه . وأخذ الهاتف يرن ,

فتجاهلته . كما رن هاتفها

الخلوي فأقفلته إذ لم يعد لديها ما تقوله .

وبعد نصف ساعة كانت في غرفتها تحزم

أمتعتها عندما انفتح

الباب بعنف وبرز راوول عند العتبة : ((لا

يمكنك أن ترحلي . . لا

يمكنني أن أعاني من ذلك مرة أخرى)) .

وشتم بعنف .

فوجئت بهذا الهجوم الصاخب الذي كان

بعيداً عن صفات ذلك

الرجل الهادئ المنضبط الذي تعرفه , وأخت

تحقق إليه . كان

شديد الشحوب , متوتر الملامح . واشتبكت

عيناه الغاضبتان بعينيها :

((هل لديك فكرة عما عانيت في المرة

الماضية ؟ ألا تعرفين ما

عانيت ؟)) .

جمدت مكانها أمام مشاعر لم يظهرها من

قبل , ثم هزت رأسها

نفيًا .

. يا إلهي ! ذلك الأسبوع الذي مر بي قبل أن

أستعيد ذاكرتي كاد

يقتلني . لقد اختفيت فجأة من دون أن

أعرف السبب . رحلت عن

حياتنا تاركة لي أربعة أسطر اعتذاراً وكأنك

تلغين دعوة إلى العشاء .

كان هذا أمراً لا يصدق , حتى أنني لم أعرف

أين أجدك . كدت

أجن قلقاً .

ذعرت هيلاري لما كان يخبرها به : ((لم

أظن أبداً . . لم أتصور

قط أن يكون شعورك على هذا الشكل)) .

. كان يُفترض بك أنت أن تخبريني حقيقة

زواجنا .

أحنت رأسها وهي ترى أنه محق في لومه هذا

كانت جبانة

فألفت أعداراً لنفسها . جل ما هدفت إليه

تلك الأعدار , هو أن

تحفظ ماء وجهها على حسابها . فضلاً عن

ذلك , كيف أمكنها أن

تكون عديمة الإحساس إلى حد لم تفكر فيه

تأثير اختفائها فيه ؟

تعلقت نظراته بنظراتها حين حاولت أن تحولها

عنه تجنباً لتفحصه

الدقيق لها : ((كنت أثق وأعترف أن هذا

الخيار كان الخيار الوحيد

أمامي في البداية , لكن علاقتنا تطورت

بسرعة فتخلّيت عن الحذر

معك . اعتقدت أننا زوجان عاديان ,

وتعلمت أن أعتبرك زوجتي .

وفجأة , وجدت هذا كله ينفجر في وجهي))

.

شعرت هيلاري بغصة . فمنذ أعادها من

لندن وهي ترفض أن

تعترف إلى أي حد ساهم سلوكها في زيادة

غضبه وعدم ثقته .

وشعرت بالخبجل : ((لا بد أنني بدوت لك

أنانية للغاية . . لكنني ,

صدقني , لم أكن أظن أنك ستفتقدني إلى

هذا الحد . . .)) .

أطلق راوول ضحكة تفتقر إلى البهجة : ((

ماذا تظنيني ؟ قطعة

خشب ؟)) .

فواجهته باضطراب : ((لا بل بارد كالثلج

وشديد التنظيم و التحكم

في النفس . ومزهو بهذا أيضاً)) .

فالتوى فمه الجميل : ((لقد ربوني على أن

أكون قوياً وحذروني

من الضعف أمام أي امرأة . زيجات أبي

وجدي الفاشل مالأتهما

مرارة . وعندما تبدل جدي كان الأوان قد

فات على التأثير في ,

ولهذا السبب كتب تلك الوصية غير المعقولة

. كانت آخر محاولة منه

لكي يقنعي بأني إذا جازفت , فسأتمكن من

كتابة تاريخ الأسرة من

جديد وأنتهي بزواج سعيد)) .

فقلت وهي تغالب دموعها : ((حسناً . . لم

يعد ثمة حاجة لهذا

الجدال , لكن قصر ((كاستيلو)) بقي

للأسرة على الأقل)) .

. أريدك أن تعلمي أنني كنت في طريقي

لرؤيتك عندما اتصل بي

بول . . .

احمر وجهها شاعرة بالإهانة : ((لماذا يساند

الرجال بعضهم

البعض دوماً ؟)) .

فقال ساخراً وعيناه في عينيها : ((تملكنا

الذعر عندما فهمت أي

نوع من المستندات تريدينه , كما تملكني

الخجل وأدركت على الفور

أنني من دفعك إلى ذلك)) .

أخذت تتفحصه بعينين متسعيتين مرتبكتين :

((ما الأمر معك ؟ لماذا

لم تشعر بالسرور ؟ ولماذا تشعر بالخجل ؟

أردت أن أوقع على تعهد

بألا أرفع عليك أي دعوى أطالبك فيما

بالمال أو بأي شيء آخر

تملكه ((.

. لكن هذا خطأ فلديك كل الحق في أن

تشاركيني في ما

أملك . . .

. بل هذا سيؤكد لك مرة وإلى الأبد أنني لا

أريد ولا أحتاج أي

شيء منك .

أخذ نفساً عميقاً ووقف منتصباً : ((لقد

اتهمتكَ بأنك تبحثين

عن الثراء لأنني أستطيع بهذا أن أتجنب

الحديث معك عن شعوري

نحوك)) .

رفعت حاجبها : ((لم أفهم)) .

. عندما كنت فاقدة الذاكرة , تعودت على

وجودك قربي . وعندما

استعدت ذاكرتي , تملكني غضب عارم منك

لأنك جعلت مني رجلاً

أحمق !

هذه الإدانة الصريحة جعلت الشحوب يعلو

وجهاها , وقالت : ((لم

يكن هذا قصدي , ولا يمثل رؤيتي لما يحدث

بيننا)) .

. استطعت أن تخدعيني , ولم يعد لدي ثقة

بقدرتي على فهمك .

بدا التوتر واضحاً على جسده الجبار , ثم

استدار مبتعداً عنها :

((مهما بلغت عدم ثقتي بك , إلا أنني ما

زلت أريدك أن تعودني إلي

ولا علاقة للأمر بالرغبة الجسدية)) .

بدا الانتعاش على هيلاري لهذا الاعتراف

المبشر بالخير ,

وقالت : ((لكنك لطالما أردتني أن أظن أن

علاقتنا تقتصر على ذلك)) .

توترت أساريه : ((كنت أخفي مشاعري . .

. كنت . . .)) .

وقطع كلامه ثم هز كتفه بإحباط : ((كنت .

. ((. .

. كنت . . . ماذا كنت ؟

. كنت خائفاً . . . ! هل فهمت ؟

اعترف بهذا رغماً عنه وكأنها كانت تسدد إليه

فوهة بندقية : ((كنت

خائفاً . . . عرفت أحاسيس لم أشعر بها قط

من قبل ما أفرعني , لكن ,

عندما ذهبنا إلى سردينيا , كان اضطرابي قد

بدأ يهدأ . بدأت أشعر

بالارتياح وعدت أثق بك من جديد

((.

فتحت فمها مذهولة : ((ثم اعترفت لك

بأنني حامل ((.

. ومرة أخرى , تكتمت على أمر يخصنا .

ليتك شاركتني هذا

الخبر على الفور ! أمضينا ذلك الأسبوع كله

معاً وأقرب إلى بعضنا

البعض مما سبق , بينما أنت تخفين عني انك

حامل بابننا . لقد

صدمني ذلك للغاية , وجعلني أتساءل عما

قد تخفينه أيضاً .

. كنت خائفة من رد فعلك .

بدت محاولتها الدفاع عن نفسها ضعيفة لأنها

أدركت أن ترك

راوول جاهلاً بأمر حملها زعزع ثقته بها مرة

أخرى .

تشابك نظراته بنظراتها المرهقة : ((أردتك أن

تكوني صادقة ,

لكنك لم تكوني كذلك . فقدت الثقة

بقدرتي على الحكم بشكل

صائب ومنذ ذلك الحين أصبح كل ما حولي

هشيماً)) .

فقلت بتعاسة : ((لست جريمة تستوجب

الشنق إذا لم ترغب بطفل

لا تريده مني)) .

. بل أريد طفلنا بكل تأكيد . لكنني كنت

خائفاً من أن أمر بالتجربة

نفسها مرة أخرى . إنني في حالة صراع مع

نفسي منذ ذلك الحين .

ورغم أنني كنت مصمماً على البقاء معكما

أنتما الإثنين إلا أنني

كرهت فكرة أن تبقي معي فقط لأنك حامل

. هل ترين في هذا حماقة ؟ .

فتمتت بأسى : ((لا . كان هذا شعوري أنا

أيضاً)) .

. حاولت جهدي التحكم في نفسي لكن

الزمام أفلت من يدي ,

وانتهى بي الأمر باتهامك بما لم أكن أنا نفسي

مقتنعاً به . كنت أعلم

أن الطفل من صليبي , لكنني لم أشأ أن تظني

أنك آذيتني مرة أخرى .

لهذا , قررت أن أجرحك أنا أولاً .

تكلم بندم صادق , فيما راحت هي تصغي

بمزيد من الاهتمام إلى

هذا الاعتراف المدهش . هل جرحته ؟ هل

قال حقاً هذه الكلمات ؟

وعاد يقول : ((قاومت شعوري نحوك منذ

ذلك الحين , لكني لن

أستطيع ذلك بعد الآن . حاولت أن أعتاد

على مقاومتك)) .

فهمست تقول : ((أنا لست مرضاً . . .))

.

. عدم رؤيتك هو الشيء الوحيد الذي

نجحت فيه . و فجأة رأيتك

تنزلين لتناول الفطور , مرتدية تلك العباءة .

. . عندئذ , أدركت أن

محاولاتي لمقاومتك فشلت كلياً . . .

. لقد آذيت شعوري . . .

. وأنا آسف لذلك . كنت غاضباً من نفسي

و ليس منك . ثار

غضبي لأنني لم أستطع أن أتحمم برغبتني فيك

, هذا لجأت إلى

السخرية .

. وكانت هذه القشة الأخيرة التي قصمت

ظهر البعير كما

يقول المثل .

فقال بسرعة : ((لن يحدث هذا مرة أخرى .

هذه المشاعر جديدة

بالنسبة إلي وتقبلها ليس بالأمر السهل .

أتظن أن بإمكانك أن

تمنحني فرصة أخرى)) .

اغرورقت عيناها بالدموع وهزت رأسها و

مشاعرها فائضة بحيث

لم تدعها تنطق بالنفي . وأمسك بيديها

المتشابكتين : ((أرجوك . . .)) .

و مرة أخرى هزت رأسها , و قالت و هي

موشكة على البكاء : ((لا

أريد رجلاً يعتبرني درجة ثانية بالنسبة إليه

وعليه أن يقاوم حتى رغبته

في . . .)) .

. الأمر ليس بهذا الشكل . لو اقتصر

المشاعر على الناحية

الجسدية , لما تدهورت أموري إلى هذا الحد .

إنني مرتاح تماماً لهذه

الناحية من علاقتنا , لكن المشكلة تكمن في

ما لم أعود عليه . ألا

تدركين كم تعنين بالنسبة إلي ؟

وأمسك بيديها بلهفة وعيناه اللامعتان تخرقان

عينها برغبة عنيفة :

((لقد قلت هذا في سردينيا . قلت إنني

كنت سعيداً جداً حين عشت

حكاية هذا الزواج الخرافية . وكنت على حق

, فأنا لم أشعر في

حياتي بمثل تلك السعادة التي شعرت بها

حينذاك)) .

ذهلت هيلاري لهذا الاعتراف بينما

أردف ((يمكنك إذن أن

تتصوري حالي عندما علمت أن القصة

الخرافية لم تكن سوى حلم ,

ظننتك تحبيني , وقد تعلمت أن أحب تلك

الفكرة . . . ((.

. أحقاً ؟

. لقد أحبتك . لم أعرف الحب من قبل

فلم أدرك , لسوء

الحظ , ما سبب الاضطراب في مشاعري . .

. بل قل الانسجام في مشاعرك . . .

صححت له كلامه , وهي تصغي بلهفة إلى

كل كلمة ينطق بها .

. حسناً , لم أجد في ذلك انسجاماً في بداية

الأمر . فقد كنت

تعيقيني عن عملي . . .

ارتجفت : ((هل فعلت هذا حقاً ؟)) .

فقال برصانة بالغة : ((كان ذهني ينصرف

إليك حتى أثناء

الاجتماعات الهامة)) .

. هذا أكثر مما كنت أرجوه .

واغرورقت عيناها بالدموع وأحاطت عنقه

بذراعيها : ((وأنا

أحبك . أحبك كثيراً وسأجعلك أسعد رجل

((.

سحقها بعناق عاطفي أفصح من أي كلام

. و بقيا متعانقين ,

مستمتعين بهذا التقارب الذي كانا يخافانه هما

الاثنين وسيستمر إلى

الأبد .

. ما أروع ما جعلتني أشعر به !

فقلت بجرارة : ((أتري . . . حبك ليس

بالأمر الشيء تماماً)) .

. بل هو كذلك إذا بقيت تهربين مني وتهديني

بالهجر .

. لن أهرب بعد الآن , ولن أهددك بالهجر

مهما جنتني .

أحني رأسه الجميل واختمس قبلة واحدة

رقية جعلتا تشرق

بمشاعر الحب . نظر إلى وجهها المرفوع إليه

بعينه الذهبين

اللامعتين وقال : ((منذ أربع سنوات , لم

أكن أظن أنك ستشكلين

خطراً على نمط حياة العزوبية التي كنت أعتز

بها , يا عزيزتي ((.

. حينذاك لم أكن ناضجة بالنسبة إليك ,

لكنني وقعت في غرامك

منذ أول مرة رأيتك فيها .

. وأنا انجذبت إليك بقوة بالغة لكنني لم

أعترف , حتى لنفسي ,

بذلك . وهذا هو سبب ترددي إلى الصالون

حيث كنت تعملين .

وعانقها مرة أخرى فأغمضت عينيها حاملة

فيما أضاف : ((عندما

انتهى حفل الزفاف ذاك , لم أعد أثق بنفسي

حين أكون بجانبك . . .)) .

فسألته مشككة : ((أصحيح هذا ؟)) .

رد بأسف : ((صحيح . الزواج منك أبعدك

عني , لكنني احتفظت

بصورتك في محفظة نقودي طيلة أربع سنوات

((.

اتسعت عيناها الكبيرتان وأشرق وجهها

سروراً فيما ارتسم الحنان

على وجهه : ((أحب أن أراك في ثوب

زفاف ترتدينه من أجلي . علينا

أن نعمل شيئاً ما في هذا الخصوص . علينا أن

نجدد عهد الزفاف

ونبارك زواجنا !)) .

فقلت وقد تملكها التأثر : ((كم أحب هذا

... لكن عليك أن

تنتظر إلى ما بعد ولادة الطفل)) .

فسارع يقل من دون تردد : ((كلام فارغ))

.

* * *

بعد أحد عشر شهراً , جدد راوول و هيلاري

عهود زواجهما في

كنيسة صغيرة تبعد ميلاً واحداً عن ((قصر

كاستيلو)) .

حملت هيلاري وروداً صفراء وارتدت ثوب

زفاف رائعاً بصدر

مطرز وتنورة واسعة . لم يكن العروسان
السعيان ينظران إلا إلى
بعضهما البعض . وتلا الاحتفال وجبة طعام
رائعة وحفلة كبرى . أعز
صديقاتها , بيبا و تاي , حضرتتا مع زوجيهما
أندرو و كريستيان , كما
دعيا بول وآنيا كوريرو للمشاركة .

وكانت لآنيا وهيلاري قد أصبحتا صديقتين
حميمتين كحال

زوجيهما . وحضرت أختها إيمان . أما ضيف
الشرف فكان بييترو ,
أصغر عضو في أسرة ساباتينو . لكن وبما أنه
لم يكد يبلغ الشهر
الثالث من عمره , ولا يهتم على الإطلاق
بمثل هذا الاحتفال , فقد
نام معظم النهار .
وفي وقت لاحق في تلك الليلة , وضعت
هيلاري ابنها غي سريره

في غرفة الأطفال الرائعة , التي أشرفت على

تأثيرها له بهجة كبرى .

كان لابنها شعر أبيه الأسود وابتسامة حلوة

ثبت أنه يلقي رعاية

كافية .

لم تستطع أن تصدق أنها وراوول , يكادان

يحتفلان بعيد

زواجهما , غير الرسمي , الأول . وابتسمت

لنفسها شاعرة بالأمان

و الرضى . لقد أمضينا الكثير من الوقت في

قصر ((كاستيلو)) حيث كان

الزمن يمر ببطء . كما قلل راوول من أسفاره

أثناء حملها , ودللها

بشكل جنوبي .

تمم راوول بصوت أجش من على بعد أقدام

معدودات منها :

((رائع . . .)) .

أقلت هيلاري نظرة فخر على ابنها النائم :

((إنه طفل جميل

فعلاً . أليس كذلك ؟)) .

فأحاط خصرها بذراعيه : ((لم أكن أتحدث

عن بيترو)) .

. أحقاً ؟

أخذت تتأمل ملامحه السمراء الوسيمة

ولاحظت نظرة

الاستحسان في عينيه , فتسارعت دقات

قلبها وجف فمها .

. بدوت في غاية الجمال الليلة . كم كنت

فخوراً لأنك زوجتي !

هل تدركين أن هذه الليلة توازي ليلة عرسنا

الماضية التي لم نستمتع

بها قط ؟

وهنت ساقاها ومالت عليه من دون خجل

فيما تأوه هو وحملها

إلى غرفة نومهما .

همست بدلال وقد تملكثها الإثارة : ((أما

زلت تحبني ؟)) .

أشرفت ابتسامته الحساسة بحرارة لها

وحدها : ((حبي لك يزداد

يوماً بعد يوم)) .

وبقلب مفعم بالفرح , أحاطت عنقه

بذراعيها , ثم جذبته إليها .

لتحميل مزيد من الروايات

الخاصة و المميزة

زوروا موقع مكتبة رواية

www.rivaya.ga

هذه الرواية هي إهداء خاص و حصري إلى

مشاركي قناة روايات عبير على تيليجرام

رابط قناة روايات عبير

<https://t.me/aabiirr>

تتم قناة روايات عبير بمشاركة روابط روايات

عبير و أحلام و مختلف الروايات الرومانسية

الحصرية و المميزة

تمت بحمد الله